

مِنْ أَمْثَالِ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ

أَسَدٌ وَثُورَانِ

أَسَدٌ خَرَجَ عَلَى ثُورَيْنِ فَاجْتَمَعَا

جَمِيعًا وَكَانَا يَنْطَحَا فِيهِ يَقْرُؤُهُمَا وَلَا يَمْتَكِنَانِي

مِنَ الدَّخُولِ بَيْنَهُمَا فَأَنْفَرَا بِأَحَدِهِمَا وَ

خَدَعَهُ وَوَعَدَهُ الْأَيْعَارِضُ إِنْ تَخَلَّى عَنْ

صَاحِبِهِ فَلَمَّا اقْتَرَا سَهُمَا جَمِيعًا

مَغْزَاةٌ

أَنَّ مَدِينَتَيْنِ إِذَا اتَّفَقَ عَلَى نَأْيِ

وَاحِدٍ أَهْلُهُمَا فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ مِنْهُمَا عُدُوٌّ

فَإِذَا اتَّفَقَا هَلَكَا جَمِيعًا

غَزَالٌ

غَزَالٌ مَرَّةً عَطِشَ فَأَتَى إِلَى عَيْنِ مَاءٍ

يَشْرَبُ فَنَظَرَ حَيَالَهُ فِي الْمَاءِ فَحَزِنَ لِسِدْقَتِهِ

قَوَّاهُمُوهَ وَسَرَّ وَأَبْتَهَجَ لِعَظِيمِ قُرُونِهِ وَكَبَرَهَا
 وَفِي الْحَالِ خَرَجَ عَلَيْهِ الصِّيَادُونَ فَأَنهَزَمَ
 مِنْهُمْ فَأَمَّا وَهُوَ فِي السَّهْلِ فَلَمَّ يَدُ رِكْوَهُ فَلَمَّا
 دَخَلَ فِي الْجَبَلِ وَعَبَّرَ بَيْنَ الشَّجَرِ لِحَقَّةِ الصِّيَادُونَ
 وَقَتْلَوْهُ فَقَالَ عِندَ مَوْتِهِ: الْمَوِيلُ لِي أَنَا
 الْمُسْكِينُ الَّذِي إِزْدَرَيْتُهُ هُوَ خَلَّصَنِي
 وَالَّذِي رَجَوْتُهُ أَهْلَكَنِي.

أَسَدٌ وَتَعْلَبٌ

أَسَدٌ شَاخٌ وَضَعْفٌ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى شَيْءٍ
 مِنَ الْوُحُوشِ فَأَرَادَ أَنْ يَحْتَالَ لِنَفْسِهِ فِي الْمَعِيشَةِ
 فَنَمَارَضَ وَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي بَعْضِ الْمَغَارِ عَرِوْكَانَ
 كُلَّمَا آتَاهُ زَائِرٌ مِنَ الْوُحُوشِ يَعُودُهُ أَقْتَرَسَهُ
 دَاخِلَ الْمَغَارَةِ وَأَكَلَهُ سِوَايَ التَّعْلَبِ وَدَقَفَ
 عَلَى بَابِ الْمَغَارَةِ مُسَلِّبًا عَلَيْهِ قَائِلًا لَهُ كَيْفَ
 حَالُكَ يَا سَيِّدَ الْوُحُوشِ فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ

٣
 مَلِكٌ لَا تَلْعَلُ يَا أَبَا الْحُسَيْنِ، فَقَالَ لَهُ الثَّعْلَبُ
 يَا سَيِّدُ مَا كُنْتَ عَوَّلْتَ عَلَى هَذَا غَيْرَ إِنِّي
 أَرَى عِندَكَ أَثَارَ أَفْئِدَةٍ كَثِيرَةٍ (١) قَدْ دَخَلُوا
 وَلَا أَرَى أَنَّ خَرَجَ مِنْهُمْ أَحَدٌ
 مَعْرَاكُ

وَمَنْهُ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ لَا يَأْتِيَ الْمَعْرَاكُ
 إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُفَكِّمَ فِيهِ وَيَسَيِّرَهُ
 أَسَدٌ وَإِنْسَانٌ

أَسَدٌ وَإِنْسَانٌ إِصْطَحَبَا مَرَّةً عَلَى الطَّرِيقِ
 فَجَعَلَا يَنْشَاجِرَانِ بِالْكَلَامِ عَلَى الْقُوَّةِ وَشِدَّةِ
 الْمُبَاسِ فَجَعَلَ الْأَسَدُ يُطِيبُ فِي شِدَائِهِ وَ
 دُبَابِهِ فَتَطَرَّ الْإِنْسَانُ عَلَى حَائِطِ صُورَةٍ رَجُلٍ
 وَهُوَ يَخْنُقُ أَسَدًا فَضَحِكَ الْإِنْسَانُ فَقَالَ
 لَهُ الْأَسَدُ: لَوْ أَنَّ السِّبَاعَ مَصُورُونَ مِثْلَ

(١) كثير نعت لمحمد وفيه نعت له بحسب المقام والمراد ما خلق كثير

بَنَى آدَمَ لِمَا قَدَّ الْإِنْسَانُ يَخْنُقُ سَبْعًا بَلْ
كَانَ السَّبْعُ يَخْنُقُ الْإِنْسَانَ -

مَغْزَاهُ

أَنَّهُ مَا يُزَكِّي الْإِنْسَانَ بِشَهَادَةِ أَهْلِ بَيْتِهِ
غَزَالٌ وَأَسَدٌ

غَزَالٌ مِنْ خَوْفِهِ مِنَ الصَّيَّادِينَ إِنَّهُمْ إِلَى
مَعَارِهِ قَدْ حَلَّ إِلَيْهِ الْأَسَدُ فَأَفْتَرَسَهُ فِيهَا
فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : الْوَيْلُ لِي أَنَا الشَّقِيُّ لَأَنِّي هَرَبْتُ
مِنَ النَّاسِ فَوَقَعْتُ فِي يَدِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ
مِنْهُمْ بَأْسًا.

مَغْزَاهُ

أَنَّ كَيْدَ الْيَفِرِّقَةِ مِنْ بَلَاءٍ فَيَقَعُونَ فِي
بَلَاءٍ أَعْظَمَ -

غَزَالٌ وَثَعْلَابٌ

غَزَالٌ مَرَّةً عَطِشَ فَوَرَدَ عَيْنَ مَاءٍ لِيَشْرِبَ

وَكَانَ الْمَاءُ فِي حَبِّ عُمَيٍّ ثُمَّ أَنَّهُ حَاوَلَ الطُّلُوعَ
فَلَمْ يَقْدِرْ فَنَظَرَهُ الشَّعْلَبُ فَقَالَ لَهُ: أَسَأَتِ
يَا أَخِي إِذْ لَمْ تَمَيِّزْ صَدَأَ وَرَكَ قَبْلَ وَرُودِكَ -
مَغْزَاهُ

مَنْ جَدَّ بِهِ الطَّمَعُ عَلَى أَنْ يَأْتِيَ أَمْرًا دُونَ
تُرُوفِهِ لَمْ يَأْمَنْ غَائِلَتَهُ -
أَرْنَبٌ وَلَبُوءَةٌ

أَرْنَبٌ مِرَّةٌ احْتَارَتْ بَلْبُوءَةً وَقَالَتْ لَهَا:
أَنَا أَنْجِي فِي كُلِّ سَبْتَةٍ أَوْلَادُ الْكَثِيرَةِ وَأَنْتِ إِنَّمَا
تَلِدِينَ فِي عَمْرِكَ كُلِّهِ قَدْ أَوْرَوْنَا: فَقَالَتْ لَهَا
الْبَبُوءَةُ: صَدَقْتَ غَيْرَ أَنَّهُ وَلِيْنٌ يَكُنْ وَاحِدًا
فَهُوَ سَبْعٌ -

مَغْزَاهُ

لَيْسَ الْإِعْتِمَادُ عَلَى الْكَثَرَةِ وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى
الْمُفِيدِ -

٦ امْرَأَةٌ وَدَجَاجَةٌ

امْرَأَةٌ كَانَتْ لَهَا دَجَاجَةٌ تَبْخِضُ كُلَّ يَوْمٍ
بَيْضَةً فُضَّةً فَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا: إِنِّي أَنَا أَكْثَرُ
عَلَفَهَا بِأَصَبْتُ بَيْضَتَيْنِ فَلَمَّا فَعَلْتُ ذَلِكَ
إِنْشَقَّتْ حَوْصَلَةُ الدَّجَاجَةِ فَمَا تَشَاءُ

مَغْزَاهُ

إِنَّ كَثِيرًا بِسَبَبِ طَمَعِهِمْ يَحْضُرُونَ رَأْسَ
مَا لِيهِمْ

إِنْسَانٌ وَفَرَسٌ

إِنْسَانٌ كَانَ لَهُ فَرَسٌ يَرْكَبُهَا وَهِيَ حَامِلٌ
وَفِيهَا هُوَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ إِذَا نَتَجَتْ لَهُ مَهْرًا
فَتَبِعَ أُمَّهُ غَالِبٌ بَعِيدٌ ثُمَّ وَقَفَ وَقَالَ لِصَاحِبِهِ
تَرَانِي صَغِيرًا أَلَا اسْتَطِيعَ الْمَشْيُ وَقَدْ مَضَيْتَ
وَتَرَكْتَنِي هَهُنَا فَإِنَّ أَنْتَ أَخَذْتَ نَفْسِي مَعَكَ وَ
رَبَّيْتَنِي إِلَى أَنْ أَقْوَى حَمَلْتُكَ عَلَى ظَهْرِي وَ

أَوْصَلْتُكَ إِلَى حَيْثُ تَشَاءُ
مَعْنَاهُ

إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ نَرَاهُ بِمَنْ يَسْتَعِيشُونَنَا
وَهُمْ غَيْرُ قَادِرِينَ -

إِنْسَانٌ وَخِنْزِيرٌ

إِنْسَانٌ مَرَّةً حَمَلَ عَلَى بَهِيمَةٍ لَهُ كَبْشًا وَ
عَنْزًا وَخِنْزِيرًا وَقَصَدَ بِهَا الْمَدِينَةَ لِيَبِيعَ
الْجَمِيعَ أَمَّا الْكَبْشُ وَالْعَنْزُ فَلَمْ يَكُونَا يُؤْذِيَانِ
الْبَهِيمَةَ وَأَمَّا الْخِنْزِيرُ فَإِنَّهُ كَانَ يَغْرَضُ
دَائِمًا وَلَا يَهْدَأُ فَقَالَ لَهُ الْإِنْسَانُ: يَا شَرَّ
الْوَحُوشِ مَا لِي أَرَى الْكَبْشَ وَالْعَنْزَ سَاكِتَيْنِ
لَا يَضْطَرِبَانِ وَأَنْتَ لَا تَهْدَأُ وَلَا تَسْتَقِرُّ؟ فَقَالَ
لَهُ الْخِنْزِيرُ: كُلُّ يَعْرِفُ شَأْنَهُ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ
الْكَبْشَ لِيُصَوِّفَ وَالْعَنْزَ لِلْبُنْيَا وَأَنَا أَنَا الشَّقِيقُ فَلَا
صَوْفَ لِي وَلَا لَبَنَ فَمَا يَكُونُ بَعْدَ وَصُولِي

إِلَى الْمَدِينَةِ الْكِبَارِ سَالِي إِلَى الْمَسْلَخِ -

مَعْرَاةُ

أَنَّ الَّذِينَ يُخَرِّقُونَ فِي الْخَطَايَا الَّتِي قَدَّمَتْ
أَيْدِيَهُمْ يَعْلَمُونَ سُوءَ مُنْقَلَبِهِمْ
سُلْحَفَاءُ وَأَرْنَبُ

سُلْحَفَاءُ وَأَرْنَبُ نَسَابَقَامَرَّةٌ وَجَعَلَا لِحْدًا
بَيْنَهُمَا الْجَبَلَ يَسْتَبِقَانِ إِلَيْهِ أَمَّا الْأَرْنَبُ
فَلَمَّا يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ مِنَ الْخِفَّةِ فِي الْجُرِيِّ
تَوَاتَى فِي الطَّرِيقِ وَقَامَ وَأَمَّا السُّلْحَفَاءُ فَلِعَلِّهَا
بِثَقَلِ حَرَكَتِهَا الْمُمْكِنُ لِيَسْتَقَرَّ وَلَا تَتَوَاتَى فِي
الْمَسِيرِ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى الْجَبَلِ قَبْلَهُ وَعِنْدَ مَا
اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ وَحَدَاهَا قَدْ سَبَقَتْ فَتَدَامُ
حَيْثُ لَا تَنْفَعُ الْمَدَامَةُ

مَعْرَاةُ

لَا يَنْبَغِي لِقَوِي أَنْ يَشْكَلَ عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنْ

الْقُوَّةَ وَيَفْعَلْ أَمْرَهُ^٩ فَيَهْشَلْ وَيَكُونَ مِنَ
الْخَاسِرِينَ -

صَبِيٌّ

صَبِيٌّ رَحَى بِنَفْسِهِ مَرَّةً فِي نَهْرٍ وَلَمْ يَكُنْ
يُحْسِنُ السَّيَّاحَةَ فَأَشْرَفَ عَلَى الْغَرَقِ فَأَسْتَعَانَ
بِرَجُلٍ غَابِرٍ فِي الطَّرِيقِ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ وَجَعَلَ
يَلْوِيهِ عَلَى نَزْوِلِهِ إِلَى النَّهْرِ فَقَالَ الصَّبِيُّ:
يَا هَذَا خَلِصْنِي أَوْلَاكَ مِنَ الْمَوْتِ شَدَّ مُسْنِي -

مَغْزَاهُ

إِذَا وَقَعَ صَدِيقُكَ فِي شِدَّةٍ نَجِّهِ وَخَلِّصْهُ
أَوْلَاكَ شَمُّ لُئِي -

صَبِيٌّ وَعَقْرَبٌ

صَبِيٌّ مَرَّةً كَانَ يَصِيدُ الْحَبْرَادَ فَنَظَرَ
عَقْرَبًا فَظَنَّهَا جَرَادَةً فَمَدَّ يَدَهُ لِيَأْخُذَهَا
ثُمَّ تَبَاعَدَ عَنْهَا فَقَالَتْ لَهُ: لَوْ أَنَّكَ تَبَضَّيْتَنِي

١٠
بِيَدِكَ لِتَخْلُتَ عَنْ صَيِّدِ الْجَبَرَادِ -

مَغْزَاهُ

أَنَّ سَبِيلَ الْإِنْسَانِ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ الْخَيْرِ
وَالشَّرِّ وَيَكْدِرَ بِرَبِّ كُلِّ شَيْءٍ يَتَدَبَّرُ عَلَى حَدِّهِ
حَمَامَةٌ

حَمَامَةٌ مَرَّةً عَطِشَتْ فَأَقْبَلَتْ تَحْوِمُ حَوْلَ
حَائِطٍ فِي طَلَبِ الْمَاءِ فَنَظَرَتْ عَلَيْهِ صُورَةٌ صَحِيفَةٍ
مَمْلُوءَةٌ مَاءً فَطَارَتْ بِسُرْعَةٍ وَضَرَبَتْ نَفْسَهَا
عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ فَأُنْشِقَتْ حَوْصَلَتُهَا فَقَالَتْ
الْوَيْلُ لِي فَإِنِّي لَمْ أَتَرَوْ فِي الصَّحِيحِ وَالْمُفْتَعَلِ
وَأَفَرَقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ حَتَّى حَلَبْتُ الْمُنِيَّةَ
لِرُوحِي بِيَدِي -

مَغْزَاهُ

أَنَّ الْمُسْتَعَجِلَ لَا يَسْلَمُ مِنْ شِيعَةِ عَجَلَتِهِ
وَأَنَّ الْجَزْمَ فِي النَّاتِي -

حَدَّثَنَا أَبُو وَكَلْبٍ

حَدَّثَنَا كَانَ لَهُ كَلْبٌ ذَابِبُهُ التَّوَلَّى وَالرَّقَادُ
مَا دَامَ الْحَدَّادُ عَامِلًا فَادَّارَعَ الْعَمَلَ وَحَسِبَ
وَكُورًا وَصَحَابَهُ لِيَأْكُلُوا السَّيْقَظَ الْكَلْبُ فَقَالَ
لَهُ الْحَدَّادُ يَا كَلْبُ السُّوءُ مَا لِي أَرَى صَوْتَ
الْمَطَارِقِ الَّتِي تَزْعُرُ الْأَرْضَ لَا تُدْنِيهِكَ وَ
حَسَنَ الْمَصْنَعِ الْخَفِيُّ تَسْمَعُهُ فَيُؤْفِكُ
مَخْرَاهُ

أَنَّ الْعَبِيَّ يَتَّقَا عَسَ عَنِ السَّوْعِطِ فَلَا ذَا سَمِعَ
اللَّهُوَا انْصَبَ إِلَيْهِ -

أَلْبَطْنُ وَالرَّجُلَانِ

أَلْبَطْنُ وَالرَّجُلَانِ تَخَاصُّوْا عَلَى رَيْهَمُ يَحْمِلُ
الْجِسْمَ فَقَالَتِ الرَّجُلَانِ: نَحْنُ بِقُوَّتِنَا نَحْمِلُهُ
فَقَالَ الْجَوْفُ: إِذَا أَنَا لَمْ أَغْدِ مِنَ الطَّعَامِ فَلَا
تَسْتَطِيعَانِ الْمَشْيَ فَضْلًا عَنْ أَنَّ تُقِلَّا شَيْئًا

١٢ مَغْزَاهُ

مَنْ يَتَوَلَّأُمْرًا فَإِنْ لَمْ يَعْصِدْهُ مَنْ هُوَ
أَرْفَعُ مِنْهُ يَفْضَلْ

أَلْشَّمْسُ

أَلْشَّمْسُ وَالرَّيْحُ تَخَاصَّمَا عَلَى أَيِّهِمَا يَقْدِرُ
أَنْ يُجَرِّدَا الْإِنْسَانَ ثِيَابَهُ فَاسْتَدَّتِ الرِّيحُ فِي
هُبُوبِهَا وَغَصَفَتْ جِدًّا فَكَانَ الْإِنْسَانُ كَلْبًا
تَزَايَدَ هُبُوبُهَا ضَمًّا لِثِيَابِهِ وَالتَّقَتْ بِهَا مِنْ
تَحْتِ جَانِبٍ فَلَمَّا أَرْفَعَتِ النَّهَارُ وَاسْتَدَّتْ الْحَرُّ
خَلَعَ ثِيَابَهُ وَحَمَلَهَا عَلَى كَتِفِهِ-

مَغْزَاهُ

مَنْ كَانَ عِنْدَهُ الْإِقْتِنَاعُ وَدَمَائِهِ الْأَخْلَاقُ
نَالَ مِنْ صَاحِبِهِ مَا يُرِيدُ

دِيكَانِ

دِيكَانِ كَانَا يَتَقَاتِلَانِ عَلَى قَهْقَرٍ فَغَلَبَ

أَحَدُهُمَا الْآخَرَ أَمَّا الْمَغْلُوبُ فَخَضِيَ مِنْ
وَقْتِهِ إِلَى مَا وَاةٍ وَأَمَّا الْغَالِبُ فَصَعِدَ فَوْقَ
السَّطْحِ وَجَعَلَ يُصَفِّقُ بِجَنَاحَيْهِ وَيَهَيِّمُ وَ
يَفْتَحِرُ وَبَصَرِيهِ بَعْضُ الْجَوَارِحِ فَأُلْقِصَ إِلَيْهِ
وَأُخْتُطِفَهُ

مَفْزَاهُ

أَنَّ الْإِفْتِخَارَ بِالْقُوَّةِ رَبِّهَا أَوْ قَع صَاحِبَهُ
فِي تَهْلُكَةٍ لَا مَنَاصَ لَهُ مِنْهَا

ذِئْبٌ

ذِئْبٌ أَصَابُوا جُلُودَ بَقَرٍ فِي مَسِيلٍ فِيهِ
مَاءٌ وَلَيْسَ عِنْدَهُ أَحَدٌ فَأَتَفَقَوْا عَلَى أَكْلِهَا
إِلَى الْجُلُودِ فَمِنْ كَثَرَةِ مَا شَرَبُوا انْفَلَقُوا وَمَاتُوا
قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا أَرْبَعَهُمْ دَلَّ

وهذا أصل الذئب بعضهم الغلاء لأنه نزلها منزلتهم اذ هي كناية
عنهم وقس على ذلك ما أشبهه.

مَعْزَاةُ

مَنْ كَانَ قَلِيلَ الرَّأْيِ عَمِلَ مَا كَانَتْ عَاقِبَتُهُ
وَبِالْأَعْلِيَّاءِ -

الْوَزُّ وَالْخُطَافُ

الْوَزُّ وَالْخُطَافُ تَشَارَكَا فِي الْمَعِيشَةِ فَكَانَ
مَرْعَاهُمَا كِلَيْهِمَا فِي حَلٍّ وَاحِدٍ فَمَرَّ بِهِمَا
الصَّيَّادُونَ يَوْمًا فَهَذَا كَانَ مِنَ الْخُطَافِ إِلَّا أَنَّ
طَارَ وَسَلِمَ - فَأَمَّا الْوَزُّ فَأُذِرِكَ قَدْ بَحَ -

مَعْزَاةُ

مَنْ عَاشَرَ مَنْ لَا يَشَاحِلُهُ أَحَاقَ بِهِ الشُّؤْمُ

بَطَّةٌ وَضَوْءُ كَوْكَبٍ

بَطَّةٌ رَأَتْ فِي الْمَاءِ ضَوْءَ كَوْكَبٍ فَظَنَّتْهُ
سَمَكَةً فَحَاوَلَتْ أَنْ تَصِيدَهُ فَاقْلَمًا جَرَبَتْ ذَلِكَ
مَرًّا دَعَلِمَتْ أَنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ يُصَادُ فَتَرَكْتُهُ
ثُمَّ رَأَتْ فِي غَدَاكَ الْيَوْمِ سَمَكَةً فَظَنَّتْهَا

مِثْلَ الَّذِي رَأَتْهُ بِالْأَمْسِ فَتَرَكْتُهَا.

مَعْرَاةٌ

أَمْنَهُ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ الْحَقِّ

وَالْبَاطِلِ وَلَا يُوقِعَ أَحَدَهُمَا مَوْقِعَ الْآخَرِ

مَنْحَبٌ

مِنْ الْكِتَابِ الْمَعْرُوفِ بِأَلْفِ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٍ

حِكَايَةُ السَّمَكِ وَمَا جَرَى لَهُ

فَقَالَ مَسْمُومٌ: أَعْلَمْتُ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّهُ كَانَ

فِي بَعْضِ الْأَمَاكِينِ عَذِيرُ مَاءٍ وَكَانَ فِيهِ بَعْضُ

سَمَكَاتٍ فَعَرَّضَ لِذَلِكَ الْعَذِيرِ أَنَّهُ قَتَلَ

مَا وَكِهِ وَصَارَ يَنْتَضِمُّ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ وَلَمْ يَبْقَ

فِي الْمَاءِ مَا يَسَعُهَا فَكَادَتْ أَنْ تَهْلِكَ وَقَالَتْ:

مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ مِنْ أَمْرِنَا وَكَيْفَ نَحْتَمَلُ وَ

مِنْ نُسْتَشِيرُهُ فِي نَجَاتِنَا: فَقَامَتْ سَمَكَةٌ مِنْهُنَّ
 وَكَانَتْ أَكْبَرُهُنَّ عَقْلًا وَسِنًا وَقَالَتْ: مَا لَنَا
 حِيلَةٌ فِي خَلَاصِنَا إِلَّا الطَّلَبُ مِنَ اللَّهِ وَلَكِنْ
 تَلْتَمِسُ الرَّأْيَ مِنَ السَّرْطَانِ فَإِنَّهُ أَكْبَرُهَا
 فَهَلْ مِمَّنْ بِنَا إِلَيْهِ لَنَنْظُرَ مَا يَكُونُ مِنْ رَأْيِهِ
 لِأَنَّهُ أَكْثَرُ مِمَّا مَعْرِفَةُ حَقَائِقِ الْكَلَامِ نَأْتِيهِ
 رَأْيَهَا وَجِئْنَا بِأَجْمَعِهِنَّ إِلَى السَّرْطَانِ فَوَجَدْنَهُ
 نَائِضًا فِي مَوْضِعِهِ وَلَيْسَ عِنْدَهُ عِلْمٌ وَلَا حَبْرٌ
 مِمَّا هُنَّ فِيهِ فَسَلَّمْنَ عَلَيْهِ وَقُلْنَ لَهُ: يَا سَيِّدَنَا
 أَمَا يَعْنِيكَ أَمْرُنَا وَأَنْتَ حَاكِمُنَا وَرَفِيسُنَا
 فَاجِبَاهُنَّ السَّرْطَانُ قَائِلًا: وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ
 مَا الَّذِي يَكُنْ وَمَا تُرِيدُنَ فَقَصَصْنَ عَلَيْهِ
 قِصَّتَهُنَّ وَمَادَّاهُنَّ مِنْ أَمْرِ تَقْصُصِ الْمَاءِ وَ
 أَنَّهُ هَبَقَ نَشَفَ حَصَلَ لَهُنَّ الْهَلَاكُ ثُمَّ قُلْنَ
 لَهُ: وَقَدْ جِئْنَاكَ مُسْتَظْرَاتٍ نَأْيُكَ وَمَا يَكُونُ

فِيهِ النِّجَاحُ لِأَنَّكَ كَبِيرُنَا وَأَعْرَفُ مِنَّا فَعِنْدَ
ذَلِكَ أَطْرَقَ رَأْسُهُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لَا شَكَّ أَنَّ
عِنْدَكَ كُنَّ نَقْصَ عَقْلِ لِيَا سَكُنْ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ
تَعَالَى وَكَفَالَتِهِ بِأَرْزَاقِ خَلْقِهِ جَمِيعًا أَلَمْ
تَقُلْ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سُبْحَانَهُ يَرْزُقُ عِبَادَهُ
بِغَيْرِ حِسَابٍ وَقَدْ تَأَرَّزَاقَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ
شَيْئًا مِنَ الْأَشْيَاءِ وَجَعَلَ لِكُلِّ شَخْصٍ عُنْدًا
مَحْدُودًا أَوْ رِزْقًا مَقْشُومًا بِقُدْرَتِهِ الْإِلَهِيَّةِ
فَكَيْفَ تَحْمِلُ هَذِهِ شَيْءٌ فِي الْغَيْبِ مَسْطُورًا
وَالرَّأْيُ عِنْدِي أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحْسَنَ مِنَ
الطَّلَبِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَيَنْبَغِي أَنْ كُلَّ وَاحِدٍ
مِنَّا يَصْلُحُ سَرِيرَةً مَعَ إِلَهِهِ فِي سِرِّهِ وَبَعْلَانِيَّةٍ
وَيَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُخَلِّصَنَا وَيُنْقِذَنَا مِنَ الشَّدَائِدِ
لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَخْفِي رَجَائِعَ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ
وَلَا يَرُدُّ طَلِبَ مَنْ تَوَسَّلَ إِلَيْهِ فَإِذَا أَصْلَحْنَا
أَحْمَلْنَا اسْتِقَامَتَ أَمْرِنَا وَحَصَلَ لَنَا عَمَلٌ خَيْرٌ
فَنَسْتَعِينُ بِوَادِعِ الْبَشَاءِ وَنُحْمِلُ رِزْقَهُ لِيَسْبِلَ عَلَيْنَا

صَالِحِينَ فَلَا يَهْدِمُ الْخَيْرَ الَّذِي بَنَاهُ فَالرَّأْيُ أَنَّ
تَصِيرَ وَتَنْتَظِرَ مَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ مِنَّا فَإِنْ كَانَ
يَحْصُلُ لَنَا مَوْتُ عَلَى الْعَادَةِ اسْتَرْجَحْنَا فَإِنْ
كَانَ يَحْصُلُ لَنَا مَا يُوجِبُ الْهَرَبَ هَرَبْنَا وَ
رَحَلْنَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى حَيْثُ يُرِيدُ اللَّهُ فَاجَابَ
السَّمَكُ جَمِيعُهُ مِنْ قِيمٍ وَاحِدٍ صَدَقْتَ يَا سَيِّدَا قَا
حِزَاكَ اللَّهُ عَمَّا خَيْرًا وَتَوَجَّهَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُنَّ
إِلَى مَوْضِعِهِ فَمَا مَضَى إِلَّا أَيَّامٌ قَلِيلٌ وَ
أَتَاهُنَّ اللَّهُ بِمَطَرٍ شَدِيدٍ حَتَّى تَلَا تُحَلَّ الْعُدَيْرِ
زِيَادَةً عَمَّا كَانَ أَوَّلًا -

وَهَكَذَا اتَّخَذَ أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَا يَا يُسَيِّنُ مِنْ
أَنْ يَكُونَ لَكَ وَلَدٌ وَحَيْثُ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا وَ
عَلَيْكَ بِهَذَا الْوَلَدِ الْمُبَارَكِ فَتَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى
أَنْ يَجْعَلَهُ وَلَدًا مُبَارَكًا وَأَنْ يُقَرِّبَهُ عَيْنَكَ وَ
يَجْعَلَهُ خَلِيفَةً صَالِحًا وَيَرْزُقَنَا مِنْهُ مِنْكَ فَإِنَّ
اللَّهَ تَعَالَى كَرِيمٌ يَخْتِيبُ مَنْ قَصْدُهُ وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ
أَنْ يَقْطَعَ رَجَاءً مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ

ثُمَّ قَامَ وَزِيرُ الشَّامِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَلِكِ فَأَحَابَهُ
الْمَلِكُ فَأَمْلَأَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ: فَقَالَ ذَلِكَ الْوَزِيرُ
إِنَّ الْمَلِكَ لَا يَسْمَى مَلِكًا إِلَّا إِذَا أُعْطِيَ وَعَدَلَدَ
حَكَمًا وَكَرَمًا وَاحْسَنَ سِيرَتَهُ مَعَ رَعِيَّتِهِ بِإِقَامَةِ
الشَّرَائِعِ وَالسُّنَنِ الْمَأْلُوفَةِ بَيْنَ النَّاسِ وَانْقَافَ
بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ حَقَّ دِمَائِهِمْ وَكَفَّ الْأَذَى
عَنْهُمْ وَيَكُونُ مَوْصُوفًا بِعَدَمِ الْخَفَلَةِ عَنْ قَعْلِهِمْ
وَإِسْعَافِ أَعْلَاهُمْ وَأَذْنَاهُمْ فَاعْطَاهُمْ الْحَقَّ
الْوَاجِبَ لَهُمْ حَتَّى يَصِيرُوا جَمِيعًا دَاعِينَ لَهُ
مُمْتَثِلِينَ لِأَمْرِهِ لَا خَشْيَةَ لَأَمْرِهِ أَنْ الْمَلِكَ الَّذِي
يَهْدِيهِ الْيَقَافَةُ فَحُبُّوكَ عِنْدَ الرَّعِيَّةِ مُكْتَسِبًا مِنَ
الدُّنْيَا عِلَاقَ هَادٍ مِنَ الْآخِرَةِ شَرَفَهَا وَرَضَى
حَاقِلَهَا وَخُنَّ مَعَاشِرَ الْعَبِيدِ مُعْتَرِفُونَ لِمَنْ
أَيَّهَا الْمَلِكُ يَا مَنْ جَمِيعُ مَا وَصَفْنَا عِنْدَكَ كَمَا قَبِلَ
حِينَ الْأُمُورُ أَنْ يَكُونَ مَلِكُ الرَّعِيَّةِ عَادِلًا
حَكِيمًا مَاهِرًا وَعَالِمًا خَبِيرًا عَامِلًا يَعْلَمُ بِهِ
وَيُخُنُّ الْآنَ مُتَعَمِّمُونَ بِهِ هَذِهِ السَّعَادَاتِ وَكَذَا

قَبِلَ ذَلِكَ قَدْ وَقَعْنَا فِي الْيَأْسِ مِنْ حَصُولِ وَلَدٍ
 لَكَ يَزِيدُ مُلْكَكَ وَلَكِنَّ اللَّهَ جَلَّ اسْمُهُ لَمْ
 يُخَيِّبْ رَجَاءَكَ وَقَبِلَ دُعَاءَكَ لِحُسْنِ ظَنِّكَ
 بِهِ وَتَسْلِيمِ أَمْرِكَ إِلَيْهِ فَنِعْمَ الرَّجَاءُ رَجَاؤُكَ
 وَقَدْ صَارَ فِيكَ مَاصِرٌ لِلْغُرَابِ وَالْحَيَّةِ فَقَالَ
 الْمَلِكُ: كَيْفَ ذَلِكَ وَمَا حِكَايَةُ الْغُرَابِ وَالْحَيَّةِ
 حِكَايَةُ الْغُرَابِ وَالْحَيَّةِ

فَقَالَ الْوَزِيرُ: اعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُ كَانَ غُرَابٌ
 سَاكِنًا فِي شَجَرَةٍ هُوَ وَزَوْجَتُهُ فِي أَرْعَدِ عَشٍ إِلَى
 أَنْ بَلَغَا زَمَانَ ثَمَرِ يَخْمِهِمَا وَكَانَ زَمَنَ الْقَيْظِ
 فَخَرَجَتْ حَيَّةٌ مِنْ وَكْرِهَا وَقَصَدَتْ تِلْكَ الشَّجَرَةَ
 فَتَعَلَّقَتْ ثَمَرِهَا وَعِيَهَا إِلَى أَنْ صَعِدَتْ إِلَى عَشِ
 الْغُرَابِ وَمَا بَصُتَ فِيهِ وَمَكَثَتْ مَدَّةَ أَيَّامٍ
 الصَّيْفِ وَنَسَا الْغُرَابُ مَطْرُودًا لَا يَحْدُلُهُ
 فُرْصَةٌ وَلَا مَوْضِعًا يَرْقُدُ فِيهِ فَلَمَّا انْقَضَتْ
 أَيَّامُ الْحَرِّ ذَهَبَتِ الْحَيَّةُ إِلَى مَوْضِعِهَا فَقَالَ
 الْغُرَابُ لِمَنْ وَجَبَتْهُ تَشْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِي نَجَّانَا

وَحَلَّصَنَا مِنْ هَذِهِ الْأَقْصَةِ وَكُنَّا حَبِيبَيْنَا مِنْ
الزَّادِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْطَعُ
رِجَاءَنَا فَشَكَرُهُ عَلَى مَا مَنَّ عَلَيْنَا مِنَ السَّلَامَةِ
وَصِحَّةِ أَبَدٍ إِنَّا وَلَيْسَ لَنَا أَنْ تَكُنْ إِلَّا عَلَيْنَا
وَرِذَا أَرَادَ اللَّهُ وَعِشْنَا إِلَى الْعَامِ الْقَابِلِ عَوْضَ
اللَّهِ عَلَيْنَا نِتَاجَنَا فَلَمَّا كَانَ دَقْتُ نَفْسٍ يَخُومَا
خَرَجَتِ الْحَيَّةُ مِنْ مَوْضِعِهَا وَقَصَدَتْ الشَّجَرَةَ
فَبَلَيْتَهَا هِيَ مُتَعَلِّقَةً بِبَعْضِ أَغْصَانِهَا وَهِيَ
قَاصِدَةٌ عُشِّ الْغُرَابِ عَلَى الْعَادَةِ وَإِذَا
بِحَدَايَةِ قَدِ انْقَضَتْ عَلَيْهَا وَضُرِبَتْهَا فِي رَأْسِهَا
فَخَذَتْهَا فَعِنْدَ ذَلِكَ سَقَطَتِ الْحَيَّةُ عَلَى
الْأَرْضِ مَخْشِيَةً عَلَيْهَا وَطَلَعَ عَلَيْهَا النَّمْلُ فَاطْلَاهَا
وَصَادَ الْغُرَابُ مَعَ زَوْجَتِهِ فِي سَلَامَةٍ وَظُلْمِنَةٍ
وَفَرَّخَا أَوْلَادًا كَثِيرَةً وَشَكَرَ اللَّهُ عَلَى سَلَامَتِهَا
وَعَلَى حُصُولِ الْأَوْلَادِ وَنَحْنُ أَيُّهَا الْمَلِكُ يَجِبُ
عَلَيْنَا شُكْرُهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْنَا وَعَلَيْنَا
بِهَذَا الْمَوْلُودِ الْمُبَارَكِ السَّعِيدِ بَعْدَ أَلْيَاسِ

وَقَطَعَ الرِّجَاءَ - أَحْسَنَ اللَّهُ مُوَابِكَ وَعَاقِبَةَ
أَمْرِكَ -

ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ الثَّالِثُ وَقَالَ: أَيُّبَشْرُ أَيُّهَا
الْمَلِكُ الْعَادِلُ بِالْخَيْرِ الْعَاجِلِ وَالْثَوَابِ الْأَجِلِ
لِأَنَّ كُلَّ مَنْ تُحِبُّهُ أَهْلُ الْأَرْضِ تُحِبُّهُ أَهْلُ
السَّمَاءِ وَاللَّهُ تَعَالَى قَسَمَ لَكَ الْمَحَبَّةَ وَجَعَلَهَا
فِي قُلُوبِ أَهْلِ مَمْلَكَتِكَ فَلَهُ الشُّكْرُ وَلَهُ الْحَمْدُ
مِنَّا وَمِنْكَ لِيكِي يَزِيدُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ بِكَ
وَأَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْتَطِيعُ
شَيْئًا إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهُ هُوَ الْمُعْطَى -
وَأَنَّ كُلَّ خَيْرٍ عِنْدَ شَخْصٍ إِلَيْهِ يَنْتَهِي - قَسَمَ
النِّعَمَ عَلَى عِبِيدِهِ وَكَمَا يُحِبُّ فَمِنْهُمْ مَنْ أَعْطَاهُ
مَوَاهِبَ كَثِيرَةً - وَمِنْهُمْ مَنْ شَغَلَهُ بِتَحْصِيلِ
الْمَوْتِ - وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ رَئِيسًا - وَمِنْهُمْ مَنْ
جَعَلَهُ زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا - رَاغِبًا إِلَيْهِ - وَأَنَّهُ
هُوَ الَّذِي قَالَ: أَنَا الضَّارُّ النَّافِعُ - أَشْفَى
وَأَمْرَضُ - وَأَغْنَى وَأَفْقَرُ - وَأَمِلْتُ وَأُحْيِي -

وَيَدِي كُلِّ شَيْءٍ وَرَأَى الْمَصِيرَ فَوَاجِبٌ عَلَى
 جَمِيعِ النَّاسِ شُكْرُهُ - وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ مِنَ
 السُّعَدَاءِ الْأَبْرَارِ - كَمَا قِيلَ : إِنَّ اسْعَدَ الْأَكْبَادِ
 مَنْ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ -
 وَيَفْنَعُ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ وَيَشْكُرُهُ عَلَى مَا أَقَامَهُ
 وَمَنْ تَعَدَّى وَطَلَبَ غَيْرَ مَا قَدَّرَ اللَّهُ لَهُ عَلَيْهِ
 يُشَبِّهُ حِمَارَ الْوَحْشِ وَالشَّعَلَبِ : قَالَ الْمَلِكُ :
 وَمَا حِدِ يُثَهُمَا -

حِكَايَةُ حِمَارِ الْوَحْشِ وَالشَّعَلَبِ

قَالَ الْوَزِيرُ : إِعْلَمَ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّ ثَعْلَبًا
 كَانَ يَخْرُجُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ وَطْنِهِ وَيَسْعَى عَلَى رِجْلَيْهِ
 فَبَيْتُهَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي بَعْضِ الْجِبَالِ - وَإِذَا
 بِالنَّهَارِ قَدْ انْقَضَى - وَقَصَدَ الرَّجُوعَ - فَاجْتَمَعَ
 عَلَى ثَعْلَبٍ رَأَاهُ مَا شَرِيئًا - وَصَارَ كُلُّ مِنْهُمَا يَحْكِي
 لِصَاحِبِهِ حِكَايَتَهُ مَعَ مَا افْتَرَسَهُ - فَقَالَ أَحَدُهُمَا
 لِأَمْرِي بِالْأَمْسِ - قَعْتُ فِي حِمَارِ وَحْشٍ وَكُنْتُ

جَاءَهَا - وَكَانَ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِمَّا أَكَلَتْ - فَفَرَحَتْ
بِذَلِكَ وَشَكَرَتْ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي سَخَّرَهُ لِي -
ثُمَّ رَأَيْتُ عَمَدَتِي إِلَى قَلْبِهِ تَأْكُلُهُ وَشَبُعْتُ - ثُمَّ
رَجَعْتُ إِلَى وَطَنِي وَمَضَى عَلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لَمْ
أَجِدْ شَيْئًا أَكُلُهُ فَمَقَّ ذَلِكَ أَنَا شَبُعَانِ إِلَى
الْآن - فَلَمَّا سَمِعَ التَّعَلُّبُ الْحِكَايَةَ حَسَدَهُ عَلَى
شَبُعِيهِ - وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: لَا يَدَّ لِي مِنْ أَكْلِ قَلْبِ
جَمَارِ الْوَحْشِ - فَتَرَكَ الْأَكْلَ أَيَّامًا - حَتَّى أَتَاهُ
وَأَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ وَقَصُرَ سَعْيُهُ وَاجْتَهَادُهُ
وَسَرَّ بَعْضُ فِي وَطَنِهِ - فَبَيَّسَهَا هَوْنِي وَطَنِيهِ ذَاتَ
يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ فَلَاذًا بِصَيَّادَيْنِ مَا شَيْئَيْنِ قَاصِدَيْنِ
الصَّيْدَ فَوَتَعَ لهُمَا جَمَارَ وَحْشٍ - فَأَقَامَا الْتَهَارَ
كُلَّهُ فِي أَشْرِهِ طَرْدًا - ثُمَّ انَّ بَعْضُهُمَا رَمَاهُ بِسَهْمٍ
مَشَعَّبٍ فَأَصَابَهُ وَدَخَلَ جَوْفَهُ وَاتَّصَلَ بِقَلْبِهِ
فَقَتَلَهُ قِبَالَةً وَكُرِيَ التَّعَلُّبُ الْمَدُّ كُورًا فَادْرَكَهُ
الصَّيَّادَانِ فَوَجَدَاهُ مَيِّتًا فَأَخْرَجَا السَّهْمَ الَّذِي
أَصَابَهُ فِي قَلْبِهِ - فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَّا الْعُودُ وَبَقِيَ السَّهْمُ

مُسْتَعْبًا فِي بَطْنِ حِمَارِ الْوَحْشِ فَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ
خَرَجَ الثَّعْلَبُ مِنْ وَطْنِهِ وَهُوَ يَتَضَجَّرُ مِنَ
الضَّعْفِ وَالْجُوعِ فَرَأَى حِمَارَ الْوَحْشِ عَلَى بَابِهِ
طَرِيحًا - فَفَرَحَ فَرَحًا شَدِيدًا احْتَى كَادَ أَنْ
يَطِيرَ مِنَ الْفَرَجِ - فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
يَسِّرَ لِي شَهْوَتِي مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ لَائِي لَا أَمُلُ
أَنْ أُصِيبَ حِمَارَ فَحْشٍ وَلَا غَيْرَهُ وَلَعَلَّ اللَّهَ
أَوْفَعَ هَذَا أَوْسَاقَهُ إِلَيَّ فِي مَوْضِعِي ثُمَّ وَثَبَ
عَلَيْهِ وَشَقَّ بَطْنَهُ وَأَدْخَلَ رَأْسَهُ - وَصَارَ
يَجُولُ بِضَمِهِ فِي أَمْعَائِهِ إِلَى أَنْ وَجَدَ الْقَلْبَ
فَالْتَقَمَهُ بِفَمِهِ وَابْتَلَعَهُ - فَلَمَّا صَادَ دَا حِيلَ
حَقْلِهِ إِشْتَبَكَ شُعْبُ الشَّهْوَةِ فِي عَظْمِ رُقْبَتِهِ
وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِدْخَالِهِ فِي بَطْنِهِ وَلَا عَلَى إِخْرَاجِهِ
مِنْ حَقْلِهِ وَابْتَدَأَ بِالْهَلَاكِ - وَقَالَ حَقًّا لَا
يَكْتَفِي - لِخُلُوقِي أَنْ يُطْلَبَ لِنَفْسِهِ نَوَاقِصُ مَا قَسَمَهُ
اللَّهُ لَهُ - لَائِي لَوْ قَنَعْتُ بِمَا قَسَمَهُ اللَّهُ لِي لَمَا
صِيرْتُ إِلَى الْهَلَاكِ -

فَلِهَذَا أَيُّهَا الْمَلِكُ - يَتَّبِعِي إِلَيْنَا أَنْ
يَرْضَى بِمَا قَسَمَهُ اللَّهُ لَهُ وَيُشْكِرَ نِعْمَهُ عَلَيْهَا
وَلَا يَقْطَعَ رَجَاءَهُ مِنْ مَوْلَاهُ - وَهَذَا أَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ
بِحُسْنِ نِيَّتِكَ وَإِسْدَاءِ مَعْرُوفِكَ رَزَقَكَ اللَّهُ
وَلَكِنَّا أَبْعَدُ الْيَاسِ - فَتَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَهُ
عُمَرَا طَوِيلًا وَسَعَادَةً دَائِمَةً - وَيَجْعَلَهُ خَلْفًا
مُبَارَكًا مُؤَفِّيًا بِعَهْدِكَ مِنْ بَعْدِكَ بَعْدَ طَوْلِ
عُمُرِكَ -

ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ الرَّابِعُ وَقَالَ: إِنَّ الْمَلِكَ
إِذَا كَانَ فِيهِمْ مَا عَالِيَهَا بِجَوَابِ الْحِكْمَةِ وَالْأَحْكَامِ
وَالسِّيَاسَةِ - مَعَ صَلَاحِ النِّيَّةِ وَالْعَدْلِ فِي
الرَّعِيَّةِ فَلَا كَرَاهٍ مِنْ يَجِبُ أَكْرَامُهُ - وَمَوْقِرٍ مِنْ
يَجِبُ تَوْقِيئُهُ - وَالْعَفْوِ عِنْدَ الْقُدْرَةِ فِيهِمَا لِأَجْدٍ
وَهُنَّ - وَرِعَايَةِ الرُّؤْسَاءِ وَالْمَرْؤِ وَسِيْن - وَ
التَّخْفِيفِ عَنْهُمْ وَالْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ - وَصَوْنِ
دِمَائِهِمْ وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِهِمْ - كَانَ حَقِيقًا بِالسَّعَادَةِ
الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ - فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْهَا يُعِيذُهُ

مِنْهُمْ وَيُعِينُهُ عَلَى ثَبَاتِ مُلْكِهِ وَتُصَرِّفُهُ عَلَى
 أَعْدَائِهِ وَبُلُوغِ مَا مَوْلَاهُ مَعَ زِيَادَةِ نِعْمَةِ اللَّهِ
 عَلَيْهِ وَتَوْفِيقِهِ لِشُكْرِهِ وَالْقَوْدِ بِعَمَائِهِ. وَلَمَّا
 الْمَلِكُ إِذَا كَانَ يَخْلَافُ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَمْ يَنْلُ فِي
 مَصَائِبَ وَبَلَايَا هُوَ وَأَهْلُ مَمْلَكَتِهِ. لِكُونَ
 جَوْرِهِ عَلَى الْغَرِيبِ وَالْقَرِيبِ. وَيَصِيرُ فِيهِ
 مَا صَارَ لِبْنِ الْمَلِكِ السَّائِحِ. فَقَالَ الْمَلِكُ: وَ
 كَيْفَ كَانَ ذَلِكَ.

حكاية ابن الملك السائح

فَقَالَ الْوَزِيرُ: أَعْلَمْتُ أَيُّهَا الْمَلِكُ. أَنَّهُ كَانَ
 فِي بِلَادِ الْغُرَابِ مَلِكٌ جَائِرٌ فِي حُكْمِهِ ظَالِمٌ غَاشِمٌ
 عَاسِفٌ مُضِيعٌ لِرِعَايَةِ رَعِيَّتِهِ وَجَمِيعٍ مَنِ يَدْخُلُ
 فِي مَمْلَكَتِهِ فَكَانَ لَا يَدْخُلُ فِي مَمْلَكَتِهِ أَحَدٌ إِلَّا
 وَمَا خُذَ عَمَالُهُ مِنْهُ أَرْبَعَةُ أَخْمَاسِ مَالِهِ وَ
 يُبْقُونَ لَهُ الْخُمْسَ لَا غَيْرَ فَقَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ
 كَانَ لَهُ وَلَدٌ سَعِيدٌ مُوَفَّقٌ. فَلَمَّا رَأَى أَحْوَالَ

اللَّهُ نِيَا غَيْرَ مُسْتَقِيمَةٍ تَرَكَهَا وَخَرَجَ سَائِحًا عَابِدًا
 لِلَّهِ تَعَالَى مِنْ صِغَرِهِ وَرَفَضَ اللَّهُ نِيَا وَمَا فِيهَا
 وَخَرَجَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى يَسْرَحُ فِي الْبَرَارِي
 وَالْقِصَارِ قَيْدُ حُلِّ الْمُدُنِ - فَقِيَّ بَعْضُ الْأَيَّامِ
 دَخَلَ تِلْكَ الْمُدِينَةَ - فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى الْمُحَافِظِينَ
 أَخَذُوهُ وَفَشَّشُوهُ فَكُمُ يَرَوْنَاهُ مَعَهُ شَيْئًا سِوَى
 شَوْ بَيْنَ أَحَدٍ هُمَا جَدِيدٌ وَالْآخِرُ عَتِيقٌ - فَتَزَعُّوْهُ
 مِنْهُ الْمَجْدِيدُ وَتَرَكُوا لَهُ الْعَتِيقَ بَعْدَ الْإِهْهَانَةِ
 وَالْتَحْقِيرِ فَصَارَ هُوَ يَشْكُو وَيَقُولُ : وَيَجْعَلُكُمْ
 أَيُّهَا الظَّالِمُونَ - أَنَا رَجُلٌ فَقِيرٌ وَسَائِحٌ وَمَا
 عَسَى أَنْ يَنْفَعَكُمْ مِنْ هَذَا الثَّوْبِ - وَإِذَا لَمْ
 تُعْطَوْهُ لِي ذَهَبْتُ لِلْمَلِكِ وَشَكْوَتُكُمْ إِلَيْهِ -
 فَأَجَابُوهُ قَائِلِينَ : إِنَّا فَعَلْنَا ذَلِكَ بِأَمْرِ الْمَلِكِ
 فَمَا بَدَأَكَ أَنْ تَفْعَلَهُ قَائِلُهُ : فَصَارَ السَّائِحُ
 يَمْشِي إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى بَلَاطِ الْمَلِكِ وَأَرَادَ
 الدُّخُولَ فَمَنْعَهُ الْحِجَابُ فَرَجَعَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ
 مَا لِي إِلَّا آتَى أَرْضَهُ حَتَّى يَخْرُجَ وَأَشْكُمُ إِلَيْهِ

حَالِي وَمَا أَصَابَنِي : فَبَيَّنَّا هُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ
 يَنْتَظِرُ خُرُوجَ الْمَلِكِ - إِذَا سَمِعَ أَحَدَ الْأَجَنَادِ
 يُخْبِرُ عَنْهُ - فَأَخَذَ يَتَقَدَّمُ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى وَقَفَ
 قَبَالََةَ الْبَابِ - فَمَا شَعَرَ إِلَّا وَالْمَلِكُ خَارِجٌ
 فَعَارَضَهُ السَّائِحُ وَدَعَا لَهُ بِالنَّصْرِ - وَأَخْبَرَهُ
 بِمَا وَقَعَ لَهُ مِنَ الْمُحَافِظِينَ وَشَكَا إِلَيْهِ حَالَهُ
 وَأَخْبَرَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ اللَّهِ وَفَضْلِ الدُّنْيَا
 وَخَرَجَ طَالِبًا لِبَارِئِ اللَّهِ تَعَالَى فَضَارَ سَائِحًا فِي
 الْأَرْضِ - وَكُلُّ مَنْ وَدَّ عَلَيْهِ مِنَ النَّاسِ الْخَسَنَ
 إِلَيْهِ بِمَا أَمْلَكَهُ - فَصَارَ يَدُ خُلُ كُلِّ مَدِينَةٍ
 وَكُلِّ قَرْيَةٍ وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ - ثُمَّ قَالَ :
 فَلَمَّا دَخَلْتُ هَذِهِ الْمَدِينَةَ تَرَجَّيْتُ أَنْ يَفْعَلَ
 بِي أَهْلُهَا مِثْلَ مَا يَفْعَلُ بغيرِي مِنَ السَّائِحِينَ
 فَعَارَضَنِي أَتْبَاعُكَ وَنَزَعُوا أَمْرَهُ أَشْوَابِي وَالْهَقُونِي
 ضَرْبًا - فَأَنْظَرَنِي سَافِيًا وَخَذَ بِيَدِي وَخَلَصَ بِي
 ثَوْبِي - وَأَنَا لَا أَقِيمُ بِهَذِهِ الْمَدِينَةِ سَاعَةً وَاحِدَةً
 فَأَجَابَهُ الْمَلِكُ الظَّالِمُ قَائِلًا : مِنْ أَشَدِّ عَلَيْكَ

بِذِ خَوْلِكَ هَذِهِ الْمَدِينَةُ - وَأَنْتَ غَيْرُ عَالِمٍ بِهَا
يَفْعَلُ مَلِكُهَا : فَقَالَ : بَعْدَ أَنْ أَخَذَ ثَوْبِي إِفْعَلْ
بِي مِرَادَكَ -

فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ الظَّالِمُ مِنَ السَّائِحِ هَذَا
الْكَلَامَ - حَصَلَ عِنْدَهُ تَغْيِيرٌ مِزَاجٍ فَقَالَ : أَيُّهَا
الْجَاهِلُ نَزَعْنَا عَنْكَ ثَوْبَكَ لِكَيْ تَذِلَّ وَحَيْثُ
وَقَعَ مِنْكَ هَذَا الصَّيَاحُ عِنْدِي - فَأَنَا أَنْزَعُ
نَفْسَكَ مِنْكَ : ثُمَّ أَمَرَ بِسُجُنِهِ - فَلَمَّا دَخَلَ السُّجُونَ
جَعَلَ يَنْذِمُ عَلَى مَا وَقَعَ مِنْهُ مِنَ الْجَوَابِ وَعَنْفَ
نَفْسِهِ حَيْثُ لَمْ تَتْرُكْ ذَلِكَ وَيَفُوزُ بِسُجُونِهِ -
فَلَمَّا كَانَ بَصْفُ اللَّيْلِ قَامَ عَلَى قَدِّ مِثْرِهِ وَصَلَّى
صَلَاةً مَطْوَلَةً - وَقَالَ : يَا اللَّهُ إِنَّكَ أَنْتَ الْحَكِيمُ
الْعَدْلُ - تَعْلَمُ بِحَالِي وَمَا انْطَوَى عَلَيْهِ أَمْرِي
مَعَ هَذَا الْمَلِكِ الْخَائِرِ - وَأَنَا عَبْدُكَ الْمَطْلُومُ أَسْأَلُكَ
مِنْ فَيْضِ رَحْمَتِكَ أَنْ تَقْدِرَ لِي مِنْ يَدِ هَذَا
الْمَلِكِ الظَّالِمِ وَتُحِلَّ بِهِ نَفْسَتِكَ لِأَنَّكَ لَا تَغْفُلُ
عَنْ ظُلْمِ كُلِّ ظَالِمٍ - فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ ظَالِمِي

فَأَحْلِلْ نَقْمَتَكَ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَأَنْزِلْ بِهِ
عَذَابَكَ لِأَنَّ حُكْمَكَ عَدْلٌ وَأَنْتَ غِيَاثُ كُلِّ
مَلْهُوفٍ يَا مَنْ لَهُ الْقُدْرَةُ وَالْعِظَمَةُ إِلَى أَخْرِجَ
الدَّهْرُ: فَلَمَّا سَمِعَ السَّبَّحَانَ دُعَاءَ هَذَا الْمُسْكِينِ
صَارَ جَمِيعُ مَا فِيهِ مِنَ الْأَعْضَاءِ مَرْعُوبًا فَبَيَّنَمَا
هُوَ كَذَلِكَ وَإِذَا بِنَارٍ ارْتَقَدَتْ فِي الْقَصْرِ الَّذِي
فِيهِ الْمَلِكُ - وَأَخْرَقَتْ جَمِيعَ مَا فِيهِ حَتَّى بَابِ
السَّبْحِ وَلَمْ يَخْلُصْ سِوَا السَّبْحَانِ وَالسَّائِحِ
فَانْطَلَقَ السَّائِحُ وَهُوَ وَالسَّبْحَانُ - وَلَمْ يَرَ إِلَّا

سَائِرُيْنِ حَتَّى وَصَلَا إِلَى غَيْرِ بَيْتِكَ الْمَدِينَةِ وَأَمَّا
مَدِينَةُ الْمَلِكِ أَطْلَمَ فَإِنَّهَا اخْتَرَتْ عَنْ آخِرِهَا
سَبَبَ جَوْرِ مَلِكِهَا. وَأَمَّا نَحْنُ إِنَّا الْمَلِكُ
السَّعِيدُ - فَمَا نُمَسِّي وَنُصْبِحُ إِلَّا وَنَحْنُ دَاعُونَ
وَشَاكِرُونَ اللَّهَ تَعَالَى فَضْلِهِ بِوُجُودِكَ مُطْمَئِنِّينَ
بِعُدْلِكَ وَحُسْنِ سِيَرَتِكَ. وَكَانَ عِنْدَنَا غَمٌّ كَثِيرٌ
لَعَدَمِ وَلَدِكَ يَرِثُ مُلْكَكَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَصِيرَ
عَلَيْنَا مَلِكٌ غَيْرُكَ مِنْ بَعْدِكَ. وَالْآنَ قَدْ أَنْعَمَ
اللَّهُ بِكَرَمِهِ عَلَيْنَا وَأَزَالَ عَنَّا الْغَمَّ وَأَتَانَا بِالسُّرُورِ
بِوُجُودِهِ هَذَا الْغُلَامِ الْمُبَارَكِ. فَتَسَالَى اللَّهُ تَعَالَى
أَنْ يَجْعَلَهُ خَلِيفَةً صَالِحَةً وَيَرْزُقَهُ الْغِنَى وَالسَّعَادَةَ
الْبَاقِيَةَ وَالْخَيْرَ الدَّائِمَ
ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ الْخَاسِمُ وَقَالَ: تَبَارَكَ اللَّهُ
الْعَظِيمُ مَا نَحْنُ الْعَطَايَا الصَّالِحَةُ وَالْمَوَاهِبُ السَّيِّئَةُ
وَبَعْدُ فَإِذَا تَحَقَّقْنَا أَنَّ اللَّهَ يَنْعِمُ عَلَيْنَا مِنْ لَيْشْكُرُهُ
وَيَحْفَظُ عَلَيْنَا دِينَهُ. وَإِنَّ مَلِكًا السَّعِيدُ

الْإِنْصَافَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ يَمَيَّزُ بَيْنَهُمَا تَرْحَمُ اللَّهُ عَلَى خَلْقٍ جَلِيلٍ ذَلِكَ أَنْتَ
 تَسْأَلُكَ وَأَسْأَلُكَ أَيَّامَكَ وَتَدْعُ لَكَ هَذِهِ الْمَطْلُوبَةُ الصَّالِحَةُ الَّتِي
 هِيَ هَذَا الْوَلَدُ السَّعِيدُ بَعْدَ الْيَاسِ وَصَالَتُنَا بِدُكِّكَ الْفَدَحِ
 الدَّائِمِ وَالسُّرُورِ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ لِأَنَّ تَقَبُّلَ ذَلِكَ كُنَّا فِيهِمْ
 حَقِيرِينَ وَغَنَمَ زَائِلًا وَسَبَبَ عَدَمَ وَلَدِكَ وَفِي رُفُكَارٍ فِيمَا أَنْتَ
 مُنْطَلِقٌ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدْلِكَ تِلْكَ أَمْرَاتُكَ بِأَلْحَقُوفًا أَنْ يَقْضَى اللَّهُ عَلَيْكَ
 بِالْمَوْتِ - وَلَمْ يَكُنْ لَكَ مَهْلٌ يَخْلُفُكَ وَيَرِيكَ اللَّهُ مِنْ جَعْلِكَ -
 فَيُخْتَلِفُ رَأْيُنَا وَيَقَعُ بَيْنُنَا الشَّقَاقُ وَيَصِيرُ بَيْنَنَا مَصَادِرُ الْغُرَابِ
 فَقَالَ الْمَلِكُ - وَمَا حِكَايَةُ الْغُرَابِ :

حِكَايَةُ الطُّيُورِ وَالْمَوْحُوشِ

صَاحِبِ ابْنِ أَدَمَ

زَعَمُوا أَنَّكُمْ نَزَلْتُمْ فِي قَتَنِ يَمِ الْفَرَسَانِ وَنَسَائِلِ الْعُصُورِ وَالْأَدِيمِ -
 طَائِفُوسٌ يَأْتِي إِلَى جَانِبِ الْبَحْرِ مَعَ زَوْجَتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ الْمَوْجِعُ
 كَثِيرَ السَّبَاحِ وَنَزَلَ مِنْ سَائِرِ الْمَوْحُوشِ غَيْرُ زَائِدٍ كَثِيرٍ إِلَّا الْغُرَابَ
 وَالْأَنْهَارَ - وَذَلِكَ الطَّائِفُوسُ هُوَ عَدُوُّكُمْ وَلَوْ أَنَّكُمْ شَجَرَةٌ
 بَيْنَ بَابِ الْإِسْجَارِ لَيَلَا مِنْ حَوْشِي مَا مِنْ (الْمَوْحُوشِ) يَخْلُوكُ

وَطَلَبَ الرِّزْقَ نَهَارًا. وَلَمْ يَزَلْ الْكَذَّابُ حَتَّى كُنْتُ خَوْفَهُمَا
 فَسَادًا يَبْغِيَانِ مَوَاصِعًا غَيْرَ مَوْضِعِهَا يَلْوِيَانِ إِلَيْهِ. فَبَيْنَمَا
 مِمَّا يُنْشِئَانِ عَلَى مَوْضِعٍ إِذْ ظَهَرَتْ لَهُمَا جَزِيرَةٌ كَثِيرَةٌ
 الْأَشْجَارُ وَالْأَنْشَارُ. فَتَلَا فِي ذَلِكَ الْجَزِيرَةِ وَأَكَلَا مِنْ
 أَشْجَارِهَا وَشَرِبَا مِنْ أَنْهَارِهَا. فَبَيْنَمَا هُمَا كَذَلِكَ إِذْ أَبْطَلُوهُ
 أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمَا وَهِيَ فِي شِدَّةٍ الْفَرَاغِ وَلَوْ تَزَلَّ شَيْءٌ حَتَّى
 أَقْبَلَ إِلَى الشَّجَرَةِ الَّتِي عَلَيْهَا الطَّاوُوسُ مَوْعِدَ وَجَدِهِ فَأَطَاعَتْ
 فَلَمْ يَشْكُ الطَّاوُوسُ فِي أَنَّ ذَلِكَ الْبَطَّةَ لَهَا حِكَايَةٌ عَجِيبَةٌ
 فَسَأَلَهَا عَنْ حَالِهَا وَمَنْ سَكَبَ حَقُّهَا. فَقَالَتْ: إِنِّي هِيَ بَيْتَةُ
 مِنَ الْعُزَمَاءِ وَخَوْنِي مِنْ ابْنِ آدَمَ. فَحَدَّثَ ابْنُ آدَمَ بِمَعْنَى آدَمَ
 فَقَالَ لَهَا الطَّاوُوسُ: لَا تَخَافِي حَدِيثُ وَصَلَتِ الْيَتَا. فَقَالَتْ
 الْبَطَّةُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَرَّجَ هَمِّي وَخَفَّى بَقْرِي كَمَا وَقَدَ أَنْكِتُ
 رَاغِبَةً فِي مَوْعِدَتِكَمَا فَلَمَّا فَرَغَتْ مِنْ كَلَامِهَا نَزَلَتْ إِلَيْهَا وَجِئَتْ
 الطَّاوُوسُ وَقَالَتْ لَهَا: اهْلَا وَسَلَامًا لِبَاسٍ عَلَيْكِ. وَمِنْ
 إِذْ يَصِلُ الْيَتَا ابْنُ آدَمَ وَتَحَنُّ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ فَيَنْزِلُ إِلَيْهِ
 لَا يَقْدِرُ أَنْ يَصِلَ الْيَتَا. وَهِيَ الْبَحْرُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَطْلُعَ عَلَيْهَا
 فَأَبْشَرِي بِحَقِّهَا فَيَنْزِلُ إِلَيْكِ وَأَعْلَمُ لَكَ مِنْ ابْنِ آدَمَ

فَقَالَتِ الْبَطَّةُ: اِغْلِبِي اَيْتَمًا الطَّافُوسَةَ اِسْتَيْ فِي هَذِهِ
 الْجَزِيرَةِ طُولَ عُمْرِي اَمِنَّةٌ لَا اَرَى مَكْرًا وَهَذَا قَمِئَتْ
 لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي فَذَاتُ صُلُوزَةِ ابْنِ آدَمَ وَهُوَ يَخَاطِبُنِي
 وَاُخَاطِبُهُ وَسَمِعْتُ قَائِلًا يَتَوَلَّى لِي: اَيْتَمًا الْبَطَّةُ
 اِحَدًا رَأَى مِنْ ابْنِ آدَمَ وَلَا قَتْلَ شَيْءٍ يَكْلَاهُ وَلَا يَمْلِكُ خُطَاهُ
 يَعْطِيكَ فَإِنَّهُ كَثِيرُ الْحَيْلِ وَالْخِدَاعِ - فَالْحَذَرُ كُلُّ
 الْحَذَرِ مِنْ مَكْرِهِ فَإِنَّهُ لَمُخَادِعٌ مَا كَرِهَ كَمَا قَالَ فِيهِ
 الشَّاعِرُ:

يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةً
 وَيُرْوَعُ مِنْكَ كَمَا يُرْوَعُ الثَّعْلَبُ

وَأَعْلَى أَنْ ابْنَ آدَمَ يَحْتَالُ عَلَى الْحَيَاتِ فَيُغْرِجُهَا مِنْ
 الْمَخَارِ وَيَرْدِي الطَّيْرَ بَيْدًا وَقِهِ مِنْ طِينٍ وَيُوقِعُ الْوَيْلَ
 بِمَكْرِهِ - وَابْنُ آدَمَ لَا يَسْلَمُ لِحَدٍّ مِنْ شَرِّهِ وَلَا يَنْجُو مِنْ
 وَلَا وَخْشٍ - وَقَدْ بَلَغْتُكَ سَمْعَتُهُ عَنِ ابْنِ آدَمَ
 فَاسْتَيْقِظْ مِنْ مَنَاجِي خَائِفَةٍ مُرْعَوِبَةٍ - وَأَنَا إِلَى الْأَبِي
 لَا يَسْتَرْحِي صَدْرِي خَوْفًا عَلَى نَفْسِي مِنْ ابْنِ آدَمَ لَيْلًا
 يَدُ هَمِّي يَحْتَالِيهِ وَيَصِيدُنِي بِجَانِبَيْهِ وَكَمْ نَارًا عَلَى

أَخِيرُ النَّهَارِ إِلَّا وَقَدْ ضَعُفْتُ قُوَّتِي وَبَطَلَتْ هِمَّتِي. ثُمَّ
 إِنِّي اسْتَهْتَمْتُ إِلَى الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ - وَخَرَجْتُ - أَتَشْتَمِي
 وَخَاطِرِي مُكَدَّرٌ وَقَلْبِي مَقْبُوضٌ فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى
 ذَلِكَ الْجَبَلِ وَجَدْتُ عَلَى بَابِ مَعَارِكٍ شَيْئًا أَصْفَرَ اللَّوْنِ
 فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ الشَّيْءَ فَرِحَ بِي فَرَحًا شَدِيدًا وَاهْبَهَةً
 لَوْنِي وَكَوْنِي لَطِيفَةَ الدَّائِ: فَصَاحَ عَلَيَّ وَقَالَ لِي: أَقْرَبِي
 مِنِّي - فَلَمَّا اقْرَبْتُ مِنْهُ قَالَ لِي مَا اسْمُكَ وَمَا جِسْمُكَ
 فَقُلْتُ لَهُ: يَا سَيِّدِي بَطَّةٌ وَأَنَا مِنْ جِئْسِ الطُّيُورِ ثُمَّ قُلْتُ
 لَهُ: مَا سَبَبُ تَعُودِكَ إِلَى هَذَا الْعَقَبِ فِي هَذَا الْمَكَانِ -
 فَقَالَ الشَّيْءُ: سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ دَالِي الْأَسَدَ لَهُ أَيَّامٌ
 وَهُوَ يُحْدِثُ فِي ابْنِ آدَمَ - فَاتَّفَقَ إِنِّي رَأَيْتُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ
 فِي مَنَامِي صُورَةَ ابْنِ آدَمَ - ثُمَّ إِنَّ الشَّيْءَ حَكَى لِي تَطْيِئَمَا
 حَكَيْتُهُ لَكَ

فَلَمَّا سَمِعْتُ كَلَامَهُ قُلْتُ لَهُ يَا أَسَدُ، إِنِّي قَدْ لَجَأْتُ
 إِلَيْكَ فِي أَنْ تَقْتُلَ ابْنَ آدَمَ - فَإِنِّي أَخَافُ عَلَى نَفْسِي خَوْفًا
 شَدِيدًا إِنْ أَرَادَدْتُ خَوْفًا عَلَى خَوْفِي مِنْ خَوْفِكَ مِنْ ابْنِ
 آدَمَ مَعَ إِنَّكَ سُلْطَانُ الْوُحُوشِ - وَمَا زِلْتُ يَا أَخِي أَحَدًا

الشَّيْبَلِ مِنْ ابْنِ آدَمَ وَأَوْصِيَهُ بِقَتْلِهِ قَامَ مِنْ وَقْتِهِ وَسَاعَدَتْهُ
 مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ وَتَمَشَّى وَتَسْتَبَتْ وَرَأَتْهُ - فَهَنَّ وَنَحَنَ
 بِذَنبِهِ عَلَى ظَهْرِهِ وَلَمْ يَدَلَّ يَتَمَشَّى وَآذَا أُمُشَّتِي وَرَأَتْهُ إِلَى
 مَقَرِّهِ الْبَلْرَيْنِ - فَوَجَدَ نَاعِبَةً طَادَتْ وَبَعْدَ ذَلِكَ انْكَشَفَتْ
 الْبُغْيَةُ - فَبَانَ تَحْتَهَا جِمَارٌ سَارِدٌ عُدَيَانٌ وَهُوَ تَارَةٌ
 يَقُومُ وَيَجْرِي حَتَّى تَارَةٌ يَتَمَشَّى فَلَمَّا رَأَى الْأَسَدُ صَاحَ
 عَلَيْهِ - فَأَتَى إِلَيْهِ خَاضِعًا فَقَالَ لَهُ - أَيُّهَا الْحَيَوَانُ الْخَرِفُ
 الْقَطْلُ - مَا جِئْتَنِي وَمَا سَبَّبَ قَدْ فُهِكَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ
 فَقَالَ لَهُ - يَا ابْنَ السُّلْطَانِ انْجِسْنِي رَجَاءُ وَسَبَّبَ قَدْ وَفَى
 إِلَى هَذَا الْمَكَانِ هَرَبِي مِنْ آدَمَ - فَقَالَ لَهُ الشَّيْبَلُ - وَهَذَا
 أَنْتَ يَا ذِي الْفَرْسِ ابْنَ آدَمَ أَنَّ يَهْتَكُ فَقَالَ لَهُ الْجِمَارُ لَا
 يَا ابْنَ السُّلْطَانِ - وَلَيْتَ أَخُو فِي أَنْ يَعْمَلَ حِيلَةً عَلَى وَيَرَكِبُنِي
 لَأَكُونَ عِنْدَكَ شَيْئًا يُسَمِّيهِ الْبَرَقَةَ فَيَجْعَلُهَا عَلَى ظَهْرِي
 وَشَيْئًا يُسَمِّيهِ الْحِزَامَ - فَيَسُدُّهُ عَلَى بَقَائِي وَشَيْئًا يُسَمِّيهِ
 الرِّجَامَ فَيَجْعَلُهُ فِي فَمِي - وَيَعْمَلُ لِي مِثْلًا سَائِبًا يُخْسِنِي بِهِ
 وَيَكْلِفُنِي مَا لَا أَطِيقُ مِنَ الْجُرْيِ وَآذَا عَثَرْتُ لَعَنَتِي وَإِنْ
 تَهَقَّتْ شَتْمَتِي - وَبَعْدَ ذَلِكَ إِذَا كَبُرْتُ وَلَعْنًا أَقْدِرُ عَلَى

البحري يجعل لي خيلا من الخشب يسلمني إلى السقاين
 فيحملان الماء على ظهري من البحر في القرب ونحوها
 كالبحر أو كما أزال في ذل وهو ابن وقعب حتى أموت في موتي
 فوق التلال للكلاب. فأي شيء أكبر من هذا العظم
 أي مصيبة أكبر من هذه المصائب.

فلما سمعكم آيتهم الطل ووسه كلام الحمام فاشعر
 جسدي من ابن آدم فقلت للشبل: يا سيدى إن الحمام
 معذرة وقد زادني كلامه رعبا على رعبى. قال الشبل
 للحمار: إلى أين أنت سائر؟ فقال له الحمار: إني نظرت
 ابن آدم قبل إشراف الشمس من بعيد. فقرأت هربا منه
 ولها أنا أريد أن أطلق ولما نزل أجري من شدة خوفى
 منه لعلني أجعل في موضعا يا ويئى من ابن آدم العنابر.
 فبينما ذاك الحمار يتحدث مع الشبل في ذلك
 الكلام وهو يريد أن يؤد عنا ويرجع إذ ظهرت لنا غيرة
 ونظرا الحمار بعينيه إلى حية الغيرة فنهق وصاح
 معينا ساعيا انكشفت العبرة عن قري من أداهم بغير
 كما يدركهم. وذل لك القرب من طرف الغيرة مليخ التحجيل

حَنُّ الْمَعَارِثِ وَالصَّهِيلِ وَأَمْرٌ نَزَلَ يُجِيرُ حَقِّي وَفَقَّ بَيْنَ
 يَدَيِ السَّيْلِ ابْنِ الْأَسَدِ. فَلَمَّا رَأَى السَّيْلُ اسْتَعْظَمَهُ
 وَقَالَ لَهُ: مَا جِئْتُكَ إِلَيْهَا الْوَحْشُ الْجَلِيلُ وَمَا سَبَبُ
 سُؤْدُوكَ فِي هَذَا الْبَرِّ الْعَرِيشِ الطَّوِيلِ، فَقَالَ لَهُ يَا سَيْلُ
 الْوَحْشِ. أَنَا قَرَمٌ مِنْ بَنَاتِ السَّيْلِ وَسَبَبُ سُؤْدُوكَ
 هَرَمٌ مِنْ ابْنِ آدَمَ فَتَجَبَّ السَّيْلُ مِنْ كَلَامِ الْقَرَمِ وَقَالَ
 لَهُ: لَا تَعْلُ هَذَا الْكَلَامَ فَإِنَّهُ عَيْبٌ عَلَيْكَ فَأَنْتَ طَوِيلُ
 غَلِيظٌ وَكَيْفَ تَخَافُ مِنْ ابْنِ آدَمَ مَعَ عَظَمِ جُثَّتِكَ. وَسَرَّعَهُ
 جَرَّتِكَ. وَأَنَا مَعَ صِغَرِ جِسْمِي قَدْ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَتَقَى مَعَ
 ابْنِ آدَمَ فَأَبْطَشَ بِهِ وَأَكَلَ لَحْمَهُ وَأَسْكَنَ رَوْعَ هَذَا
 الْبَطَلِ الْمُسْكِنَةِ وَأَفْرَ هَاتِي وَطَهَلَا وَهَاتِي لَمَّا أَتَيْتُ
 فِي هَذِهِ السَّاعَةِ قَطَعْتَ قَلْبِي بِكَلَامِكَ وَأَرْجَعْتَنِي عَنِّي
 أَرَدْتُ أَنْ أَفْعَلَهُ. فَإِذَا أَكُنْتُ أَنْتَ مَعَ عَظَمِكَ قَدْ قَهَرْتُ
 ابْنَ آدَمَ وَكَمْ يَخْشَى مِنْ طَوْلِكَ وَغَرَضَاتِكَ مَعَ أَفْكَ لَوْرَقَسَةِ
 بَرَجَلَاتِكَ لَقَاتَلْتَهُ وَلَمْ يَقْعُدْ عَلَيْكَ بَلْ قَتَلْتَهُ بِدَسَائِمِ
 الرَّدَى فَضَحِكَ الْقَرَمُ لَمَّا سَمِعَ كَلَامَ السَّيْلِ وَقَالَ:
 هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ أَنْ أَعْلِبُهُ يَا ابْنَ الْمَلَأَةِ فَلَا يَغْنِيكَ طَوْلِي.

وَلَا عَرَجِي وَلَا ضَعْفًا مَتَى ابْنُ آدَمَ - لِأَنَّهُ مِنْ شِدَّةِ حِيلَةٍ
وَمَكْرَةٍ يَصْنَعُ لِي شَيْئًا يُعَالُ لَهُ الشَّكَالُ وَيَضَعُ فِي أَرْبَعِ قَوَائِي
شَيْئًا لَيْسَ مِنْ حَبَالِ اللَّيْلِ الْمَلْفُوقَةِ بِاللَّبَادِ وَيَصْلِبُنِي مِنْ
رَأْسِي فِي قَتْدٍ عَالٍ وَأَتَّبَعِي وَأَغْلُو أَنَا مَصْلُوبٌ لَا أَقْدُ وَأَنَا أَقْدُ
وَلَا أَمَامَ - حَرَادُ أَرَادَ أَنْ يَسْكَبَنِي يُعَلُّ لِي شَيْئًا فِي حَبْلِيهِ مِنْ
الْحَدِيدِ اسْمُهُ الْبَرْكَابُ وَيَضَعُ عَلَى ظَهْرِي شَيْئًا يُسَمِّيهِ السَّرَاحَ
وَيَشُدُّهُ بِحُجْرَةٍ مِنْ ثَمَرِ ابْطَرِي وَيَضَعُ فِي قَمِي شَيْئًا مِنْ الْعَدِيدِ
يُسَمِّيهِ الْجَزَامَ وَيَضَعُ فِيهِ شَيْئًا مِنْ الْحَبْلِ يُسَمِّيهِ الصَّرْعَ
فَإِذَا نَزَلْتُ قَوَى ظَهْرِي عَلَى السَّرَاحِ نِيَسْتُ الصَّرْعَ بِبَدَا
يَقْوِي دُنِي بِهِ يَكْهَمُ لِي بِالْبَرْكَابِ فِي أَخْوَابِي خَشْيَ يَدِي مَوْتًا
وَلَا كَسَالًا يَا ابْنَ السُّلْطَانِ سَمَّا أَوَّاسِيَهُ مِنْ ابْنِ آدَمَ - حَرَادُ
كَبُرْتُ - أَنَحُولُ زُلْهَرِي وَكَمَا أَقْدُ عِلْدُ شَرْعِي الْجَزِي يَلْبَعُو
الْمُطْحَانِ لِي دُنِي فِي الطَّاحُونِ - حَرَادُ أَرَادَ دَاوُدَ بَيْنَهُمَا لَمَّا
نَزَلَا لَكَ أَنْ أَهْرَمَ قَدِ يَبْعُنِي لَابَرَّ أَوْ قَدْ يَجْعُنِي وَنِيَسَا حُرَّ
جَارِي وَيَلْبَعُ دُنِي وَيَبْعُهُمَا إِلَيَّ أَمَلِي وَأَمْنًا خِلِي وَ
يَسْمَلُ شَحْبِي -

فَلَمَّا سَمِعَ الشَّيْثُ كَلَامَ الْفَرَسِ إِهْنَادَ غَيْظًا وَعَمَّا قَالَ

لَهُ، مَتَى فَارَقْتَ ابْنَ آدَمَ - قَالَ قَاتِلْتَهُ بَصْفُ النَّهَارِ وَهُوَ
فِي أَشْرَى، فَبَيْنَمَا الشَّيْطَانُ يَتَحَدَّثُ مَعَ النَّاسِ بِهَذَا الْحَكِيمِ إِذَا
بِعَبْرَةٍ مَأْمُوتٍ - وَبَعْدَ ذَلِكَ انْكَشَفَتِ الْغَيْبَةُ وَبَانَ مِنْ
تَحْتِهَا جَمَلٌ هَائِكٌ - هُوَ يَبِيعُ وَيَخْتِطُّ بِرُحْلَتِهِ فِي الْأَرْضِ وَلَمْ
يَنْزَلْ يَنْقُلْ كَذَلِكَ حَتَّى وَصَلَ إِلَيْهَا - فَلَمَّا رَأَى الشَّيْطَانُ كِبَارَ
عَظِيمِهَا ظَنَّ أَنَّهُ ابْنُ آدَمَ قَارَأَ الْمُتَوَّعِبَ عَلَيْهِ - فَقَالَتْ لَهُ:
يَا ابْنَ السُّلْطَانِ - إِنِّي هَذَا مَا هُوَ ابْنُ آدَمَ وَإِنَّمَا هَذَا جَمَلٌ
وَكَلَامُهُ هَارِبٌ مِنْ ابْنِ آدَمَ - بَيْنَمَا أَقَامَا أُنْجِي مَعَهُ الشَّيْطَانُ فِي
هَذَا الْكَلَامِ - وَذَلِكَ أَيْ جَمَلًا أَقْدَمَ بَيْنَ أَيْدِي الشَّيْطَانِ وَلَمْ عَلَيْهِ
فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَقَالَ لَهُ: تَسْتَنْبِجُ فِحْيَتِكَ فِي هَذَا الْمَكَانِ
تَمَازِيهِ أَرْبُ جَمَارٍ ابْنِ آدَمَ: تَأْتِي لَهُ الشَّيْطَانُ وَأَتَى مَعَ عَظِيمِ
يَخْلُقُكَ وَكَأَنَّكَ وَكَأَنَّكَ كَرِهْتَ تَخَافُ مِنْ ابْنِ آدَمَ وَلَوْ وَقَعَتْ
بِرَجُلٍكَ دَفْعَةً لَوَسَّلْتَهُ وَقَالَ لَهُ الْجَمَلُ: يَا ابْنَ السُّلْطَانِ
إِنَّمَا أَنَا ابْنُ آدَمَ لَهُ دَفَاعَةٌ نَطَافٌ وَمَا يَحِلُّ لِي إِلَّا الْمَوْتُ
لَا زَنْ يَنْسَعُ فِي أَفْتِي شَيْطَانٍ وَيَسْتَبِيحُ مَا وَيَسْجُدُ فِي رَأْسِي
وَعُودَ أَرِي سُلْطَانِي رَأْفَ أَصْعَرٍ أَوْ لَدِيمٍ فَيَجْرِي الْوَلَدُ الصَّغِيرُ
بِالْحَيَّةِ مَعَ كِبَرِي وَعَظِيمِي وَيَحْمِلُونِي أَثْقَلَ الْأَحْمَالِ وَيَسَافِرُونَ

فِي الْأَسْفَارِ الطَّوَالِ وَبَسْتَعْمِلُوا نَفِي فِي الْأَشْغَالِ الشَّاقَّةِ لَمَّا
 اللَّيْلِ دَاخِلَ رَأْفَ النَّهَارِ وَذَاكَ أَكْبَرْتُ وَشَجَعْتُ وَأَنْكَسَرْتُ فَلَا
 فَلَا يَحْفَظُ صَحْبِي بَدَلٍ يَبِيعُونِي لِلْحَزَارِ فَيَدُ بَحْنِي وَيَبِيعُ جِلْدِي
 لِلْمَدَائِنِ وَالْحَمَى لِلطَّبَاخِينَ وَلَا تَسْأَلُ عَمَّا أَتَى مِنْ بَنِي
 آدَمَ فَقَالَ لَهُ الشَّيْطَانُ: أَيُّ وَثِقَةٍ فَارَقْتَ ابْنَ آدَمَ؟ فَقَالَ:
 فَارَقْتُهُ وَثِقَتِ الْخُرُوبِ وَأُظِنُّهُ يَا بَنِي عِمْنَا الصِّرَافِي فَلَا
 يَجِدُنِي فَيَسْعَى فِي طَلَبِي. قَدْ غَفَى يَا ابْنَ السُّطُورِ حَتَّى أَهْمَجَ
 فِي الْبَرَارِي وَالْقِفَارِ فَقَالَ الشَّيْطَانُ: تَهْمَلُ قَلِيلًا حَيَا جَمَلُ
 حَتَّى تَنْظُرَ كَيْفَ أَفْتَرِسُهُ وَأُطْعِمَكَ مِنْ لَحْمِهِ وَأَهْشِمَ
 عَظْمَهُ وَاشْرَبُ مِنْ دَمِهِ. فَقَالَ لَهُ الْجَمَلُ: يَا ابْنَ
 السُّطُورِ. أَلَا خَافَ عَلَيْكَ مِنْ ابْنِ آدَمَ فَإِنَّهُ مُخَارِجُ مَا فِي
 بَطْنِي أَنْتَ تَقُولُ الشَّاعِرُ:

إِذَا حَلَّ الْمُتَحِيلُ بِأَرْضِ قَوْمٍ

فَمَا لِلْمَسَاكِينِ بِسَعَى الرَّحِيلِ

فَبَيْنَمَا الْجَمَلُ يَتَعَدَّى شَرَعَ الشَّيْطَانُ فِي هَذَا الْكَلَامِ وَ
 وَذَاكَ يَغْبِرُ قَطْعَتْ وَبَعْدَ سَاعَةٍ انْكَشَفَتْ عَنْ شَيْخٍ قَصِيرٍ
 رَقِيقٍ الْبَشَرَةِ عَلَى كَتِفِهِ مِقْطَعٌ فِيهِ عِدَّةُ نَجَارٍ وَعَلَى رَأْسِهِ

شَيْبَةً وَتَمَامِيَةَ الْوَجْهِ وَبَيْدَةَ أَثْقَالٍ صَغَارًا وَهُوِيَةً وَلِ
فِي مَشْيِهِ وَمَا زَالَ يَمْشِي حَتَّى قَرُبَ مِنْ الشَّيْلِ - فَلَمَّا
رَأَيْتُهُ يَا أَخِي - وَقَعْتُ مِنْ سِدَّةِ الْخَوْفِ - وَأَمَّا الشَّيْلُ
فَبَاتَ قَامَ وَتَمَشَّى إِلَيْهِ وَلَاقَاهُ - فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ فَجَعَلَ
الْفَخَّارُ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ لَهُ بِلِسَانٍ فَصِيحٍ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْحَمِيلُ
صَاحِبُ الْبُلَاعِ الطَّرِيقِ - أَسَعَدَ اللَّهُ مُسْلَمَكَ وَمَسْعَاكَ -
وَزَادَ فِي شَجَاعَتِكَ وَقَوَّالِكَ - أَجْرِي فِي مَهَادَهَا نِي - وَيُسْرَتِي
رَوَانِي - لَا فِي مَا وَجَدْتُ لِي نَصِيرًا غَيْرَكَ - ثُمَّ لَكَ النَّجَارُ
وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ الْأَسَدِ وَبَكَى - وَأَنَّهُ وَاشْتَكَى - فَلَمَّا
سَمِعَ الشَّيْلُ بَكَاءَهُ فَشَاوَاهُ قَالَ لَهُ: أَجْرُكَ وَمَا
تَحْتَكَ أَهْمَنَ الَّذِي قَدْ ظَلَمَكَ - وَمَا أَنتَ تَكُونُ أَيُّهَا
الْوَحْشُ - الَّذِي مَا رَأَيْتُ غَيْرِي وَمِثْلَكَ - وَلَا أَحْسَنَ
صُورَةً - فَلَا أَقْصَمَ لِسَانًا مِنْكَ - فَمَا شَأْنُكَ - فَقَالَ
لَهُ النَّجَارُ: يَا سَيِّدَ الْوَحْشِ: أَمَا أَنَا فَتَجَارٌ وَإِنَّمَا
الَّذِي ظَلَمَنِي فَرَأَيْتُهُ ابْنُ آدَمَ فِي صَبَابٍ هَذَا اللَّيْلَةَ
يَكُونُ عِنْدَكَ فِي هَذَا الْمَكَانِ - فَلَمَّا سَمِعَ الشَّيْلُ مِنَ
النَّجَارِ هَذَا الْكَلَامَ تَبَدَّلَ الصَّاعُ فِي وَجْهِهِ بِالظُّلَامِ -

وَشَخْرَ وَنَحَرَ وَارْتَمَتْ عَيْنَاهُ بِالشَّرِّ - وَصَاحَ وَقَالَ :
وَاللَّهِ لَا سَهْمَ لِي فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ إِلَى الصَّبَاحِ - وَلَا أَرْجِعُ
إِلَى وَالِدِي حَتَّى أَبْلُغَ مَقْصِدِي - ثُمَّ إِنَّ الشَّيْلَ انْتَفَتَ
إِلَى التَّجَارِ وَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَرَى خُطُوءَكَ تَصِيرُ وَلَا
أَقْدِرُ أَنْ أَكْبِرَ بِخَطَايَاكَ - لَئِنْ دُومِرُوهَ دَاظِنُ أَفْكَ لَا تَقْدِرُ
أَنْ تَمَاشِيَ الْوُحُوشَ - فَأَخْبَرَنِي إِلَى أَيْنَ تَذْ هَبْ - فَقَالَ لَهُ
الْبَغَاثُ : أَعْلَمْتُ بِمَنْ تَذْ دَارِجٌ إِلَى وَدَيْهِ وَالِدِكَ الْفَهْدُ لِأَنَّهُ لَمَّا
بَلَغَهُ أَرْبَعُ أَبْنَاءِ آدَمَ دَاسَ هَذِهِ الْأَرْضَ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ وَخُوفًا
عَلَيْهَا فَلَمَّا رَسَلَ إِلَى رُسُلِهِ مِنَ الْوُحُوشِ أَصْنَعَ لَهُ بَيْتًا يَسْكُنُ
فِيهِ خِيَابَ الْبَيْتِ يَمْنَعُ عَنْهُ عَدُوَّهُ حَتَّى لَا يَدْرِي لَهُ أَحَدٌ
مِنْ بَنِي آدَمَ - فَلَمَّا جَاءَ فِي الرَّسُولِ أَخَذَتْ هَذِهِ الْأَنْوَاحَ
وَتَوَجَّهَتْ إِلَيْهِ - فَلَمَّا سَمِعَ الشَّيْلُ كَلَامَ التَّجَارِ أَخَذَهُ الْحَسَدُ
لِلْفَهْدِ - فَقَالَ لَهُ : يَحْيَا قِي لَأَجِدَنَّ أَنْ تَصْنَعَ لِي هَذِهِ الْأَنْوَاحَ
يَتَأْتِيَنَّ أَنْ تَصْنَعَ لِلْفَهْدِ بَيْتَهُ - وَإِذَا فَرَعْتَ مِنْ شُغْلِي
فَأَمْضِ إِلَى الْفَهْدِ وَاصْنَعْ لَهُ مَا يُرِيدُ - فَلَمَّا سَمِعَ التَّجَارُ مِنَ
الشَّيْلِ هَذَا الْكَلَامَ قَالَ لَهُ : يَا سَيِّدُ الْوُحُوشِ مَا أَقْدِرُ أَنْ
أَصْنَعَ لَكَ شَيْئًا إِلَّا مَا صَنَعْتُ الْفَهْدُ مَا يُرِيدُ - ثُمَّ ارْجِعْ

إِلَى خِدْمَتِكَ وَأَصْنَعُ لَكَ بَيْتًا يُحَصِّنُكَ مِنْ عَذَابِكَ فَقَالَ
لَهُ السَّبِيلُ مَا لَهُ مَا أَخْلَيْكَ تَرُوحُ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ حَتَّى
تَصْنَعَ لِي هَذِهِ الْأَلْوَاحَ بَيْنًا تَمُرُّانَ السَّبِيلَ هَمَّ عَلَى التَّجَارِ
وَوَقَّبَ عَلَيْهِ - وَأَرَادَ أَنْ يَمْرُجَ مَعَهُ فَلَطَسَهُ بِمِخْطَمِ قَرْفَى
الْمُقْطَفِ مِنْ عَلَى كَرَفِهِ وَبَرَقَ النَّجَّارُ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ فَضَحِكَ
السَّبِيلُ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ - وَمِلْكٌ يَا تَجَارُطُكَ ضَعِيفٌ وَمَا
لَكَ قُوَّةٌ فَأَنْتَ مَعْدُودٌ إِذْ خِفْتَ مِنْ ابْنِ آدَمَ فَلَمَّا دَرَعَ النَّجَّارُ
عَلَى ظَهْرِهِ ارْتَعَاظَ غَيْطًا شَدِيدًا أُولَئِكَ كَأَمْ ذَلِكَ عَنْ السَّبِيلِ
مِنْ خَوْفِهِ مِنْهُ - فَقَعَدَ التَّجَارُ عَلَى حَيْلِهِ وَضَحِكَ فِي وَجْهِهِ
وَقَالَ لَهُ هَا أَنَا أَصْنَعُ لَكَ الْبَيْتَ - ثُمَّ إِنَّ التَّجَارَ رَسَا قُلِ
الْأَلْوَاحَ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ وَسَمَّرَ الْبَيْتَ وَجَعَلَهُ مِثْلَ الْقَابِ
عَلَى قِيَاسِ الشَّيْرِ وَخَلَّى بَابَهُ مَفْتُوحًا لِأَنَّهُ جَعَلَهُ عَلَى
صُورَةِ الْمَصْنَعِ وَذِي رَفْعٍ لَهُ طَاقَةٌ كَثِيرَةٌ وَجَعَلَ لَهَا عِظَاءً
كَبِيرًا أَوْ تَقَبَ فِيهِ ثَقْبًا كَبِيرًا وَأَخْرَجَ مِنْهَا مَسَامِيرَ مُطْرَحَةً
وَقَالَ لِلْسَّبِيلِ ادْخُلْ فِي هَذَا الْبَيْتِ مِنْ هَذِهِ الطَّاقَةِ حَتَّى
أَقْبِسَهُ عَلَيْكَ - فَدَخَلَ السَّبِيلُ بِذَلِكَ رَأَى إِلَى تِلْكَ الطَّاقَةِ
فَرَأَاهَا ضَيْقَةً - ثُمَّ قَالَ لَهُ التَّجَارُ ادْخُلْ فَإِنَّكَ عَلَى يَدَيْهِ

وَرَجَلَيْكَ، فَفَعَلَ الشَّيْطَانُ ذَلِكَ مَدْخَلَ الصُّنْدُوقِ فَبَقِيَ
ذَنْبُهُ خَارِجًا فِي آخِرِهِ. فَأَرَادَ الشَّيْطَانُ أَنْ يَتَخَفَّرَ إِلَى تَلَاثِهِ
وَيَخْرُجَ. فَقَالَ لَهُ التَّجَارُّجُ أَهْلُ وَاصْبِرْ حَتَّى أَنْظُرَ هَلْ يَسْعُ
ذَنْبُكَ مَعَكَ، فَاثْمَلَّ الشَّيْطَانُ أَمْرَهُ ثُمَّ إِنَّ التَّجَارُّفَ ذَنَّبَ
الشَّيْطَانُ وَحَشَاةُ فِي الصُّنْدُوقِ وَرَدَّ اللُّوحَ عَلَى الطَّائِفَةِ سَرِيعًا
وَسَمَرَةً. نَصَّاحَ الشَّيْطَانُ قَائِلًا، يَا تَجَارُّجُ هَذَا الْبَيْتُ الَّذِي
صَنَعْتَهُ لِي. دَعْنِي أَخْرُجُ مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ التَّجَارُّجُ هَيْهَاتَ
هَيْهَاتَ. لَا يَنْفَعُ النَّدَامُ عَلَى مَا فَاتَ. إِنَّكَ لَا تَخْرُجُ مِنْ هَذَا
الْمَكَانِ. ثُمَّ صَحِبَكَ التَّجَارُّجُ وَقَالَ لِلشَّيْطَانِ، إِنَّكَ وَصَّيْتَ
فِي الْقَفْصِ وَمَا بَقِيَ لَكَ خَاصٌّ مِنْ صِيقِ الْأَقْفَاصِ يَا
تَحْيِثَ الْوُحُوشِ: فَقَالَ، يَا أَخِي مَا هَذَا الْخُطَابُ الَّذِي
تُخَاطِبُنِي بِهِ: فَقَالَ لَهُ التَّجَارُّجُ: اعْلَمْ يَا كَلْبَ الْبَرِّ
إِنَّكَ كُنْتَ وَصَّيْتَ فِي مَا كُنْتَ تَخَاطَبُ مِنْهُ وَقَدْ رَمَاكَ الْهَدَرُ
وَلَمْ يَنْفَعَكَ الْحَذَرُ. فَلَمَّا سَمِعَ الشَّيْطَانُ كَلَامَهُ يَا أَخِي
عَلِمَ أَنَّهُ ابْنُ آدَمَ الَّذِي حَدَرَهُ مِنْهُ أَبُوهُ فِي الْمَقْظَرِ وَ
الْهَاتِفِ فِي الْمَنَامِ وَأَنَا تَحَقَّقْتُ أَنَّهُ هُوَ بِلَا شَكٍّ وَلَا رَيْبٍ
وَحَقَّقْتُ مِنْهُ عَلَى نَفْسِي خَوْفًا عَظِيمًا وَبَعَلْتُ عَنْهُ قَلِيلًا

وَصُورَتْ أَنْتَظِرُ مَاذَا يَفْعَلُ بِالشَّيْبِلِ فَرَأَيْتُ يَا أُخْتِي ابْنَ آدَمَ
 حَفَرَ حُفْرَةً فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ بِالْقُرْبِ مِنَ الصُّنْدُوقِ الَّذِي
 فِيهِ الشَّيْبِلُ وَرَمَاهُ فِي تِلْكَ الْحُفْرَةِ وَالْقَى عَلَيْهِ الْخُطْبَ
 وَأَخْرَقَتْ بِالنَّارِ فَكَأَنَّهَا أُخْتِي خَوْفِي وَلِي يَوْمَانِ وَأَنَا
 هَارِبَةٌ مِنْ ابْنِ آدَمَ وَخَافَتُهُ مِنْهُ -

فَلَمَّا سَمِعَتْ الطَّاوُوسَةُ مِنَ الْبَيْطَةِ هَذَا الْكَلَامَ تَحَبَّبَتْ
 مِنْهُ عَائِيهِ الْعَجَبِ وَقَالَتْ يَا أُخْتِي - إِنَّكَ أَمِيَّةٌ مِنْ ابْنِ آدَمَ
 لَكِنَّنِي فِي حَزِيرَةٍ مِنْ جِرَارِ الثَّرِيعِ لَيْسَ لِابْنِ آدَمَ فِيهَا مَسْكَنٌ
 فَاخْتَارِي الْمَقَامَ عِنْدَنَا إِلَى أَنْ يُسَهِّلَ اللَّهُ أَمْرَكَ وَأَمْرَنَا
 قَالَتْ إِنْني أَخَافُ أَنْ يَطْرُقَنِي طَارِقٌ - وَالْقَضَاءُ لَا يَنْفَكُ
 عَنْهُ ابْنِي - فَقَالَتْ أَفْعَلِي عِنْدَنَا - وَأَنْتِ مِثْلُنَا - وَمَا
 زَالَتْ بِهَا حَتَّى قَعَدَتْ وَقَالَتْ يَا أُخْتِي أَنْتِ تَعْلَمِينَ قِلَّةَ
 صَبْرِي وَلَوْ لَا إِنْني رَأَيْتُكَ هُنَا مَا كُنْتُ قَعَدْتُ - فَقَالَتْ
 الطَّاوُوسَةُ إِنْ كَانَ عَلَى جَبِينِنَا شَيْءٌ نَسْتَوْفِيهِ وَإِنْ كَانَ
 دَنَا أَجَلُنَا فَمَنْ يَخْلِصُنَا - وَلَكِنْ تَمُوتُ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِي
 رِزْقَهَا وَأَجَلَهَا - فَبَيْنَمَا هُمَا فِي هَذَا الْكَلَامِ إِذْ طَلَعَتْ عَلَيْهِمَا
 غَبْرَةٌ فَعِنْدَ ذَلِكَ صَاحَتِ الْبَيْطَةُ وَتَوَلَّتْ فِي الْبَحْرِ وَكَانَتْ -

الْحَذَرَ الْحَدَّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَقَرٌّ مِنَ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرُ يَمُتَعِدُ
 سَاعَةً انْكَشَفَتِ الْغُبْرَةُ وَبَانَ مِنْ تَحْتِهَا ظِلِّي - فَأَطْمَأْنَنْتِ
 الْبُطَّةُ وَالطَّاوُوسَةُ ثُمَّ قَالَتِ الْبُطَّةُ يَا أَخِي إِنَّ الَّذِي
 بَصُرْتَ وَحَدَّ رَبِّ وَثْنَهُ ظِلِّي وَهَذَا هُوَ قَدْ أَقْبَلَ نَحْمَرْنَا فَلَيْسَ
 عَلَيْنَا وَثْنُهُ بَأْسٌ لِأَنَّ الظُّبْيَ إِنَّمَا يَأْكُلُ الْحَائِشَ مِنَ نَبَاتِ
 الْأَرْضِ - وَكَمَا أَتَيْتِ مِنْ جَنَسِ الدَّائِرَةِ هُوَ الْأَخْرَجُونَ مِنْ جَنَسِ
 الْوُحُوشِ - فَأَطْمَأْنَنْتِي وَلَا تَهَبَيْي فَإِنَّ الْهَمَّ يَنْجُلُ الْبَدَانَ
 فَلَمْ تَتِمَّ الطَّاوُوسَةُ كَلَامَهَا حَتَّى وَصَلَ الظُّبْيُ إِلَيْهِمَا
 يَتَطَلَّ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ فَلَمَّا رَأَى الطَّاوُوسَةُ وَالْبُطَّةُ
 سَلَّمَ عَلَيْهِمَا - وَقَالَ لَهُمَا إِنِّي دَخَلْتُ إِلَى هَذِهِ الْجَزِيرَةِ
 الْيَوْمَ فَلَمَّا رَأَيْتُ عَنْهَا خِصْبًا لَا أَحْسَنَ مِنْهَا مَسْكًا
 ثُمَّ دَعَا هُمَا لِمَرَّافِقَتِهِ وَمَصَافَاتِهِ - فَلَمَّا رَأَتْ الْبُطَّةُ
 وَالطَّاوُوسَةُ وَتَوَدَّدَا إِلَيْهِمَا أَقْبَلَتَا عَلَيْهِ وَرَغِبَتَا فِي
 عِشْرَتِهِ - فَتَصَادَقُوا وَتَخَالَفُوا عَلَى ذَلِكَ وَصَارَ مَيْدُهُمَا
 وَاحِدًا أَوْ مَا كَلَّهُمْ وَمَشَرَبُهُمْ سَعَاءٌ - وَلَمْ يَزَالُوا آمِنِينَ
 أَكِلِينَ شَارِبِينَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ سَفِينَةٌ كَانَتْ قَائِمَةً
 فِي الْبَحْرِ - فَأَرَسَتْ قَرِيبًا مِنْهُمْ فَطَلَعَ النَّاسُ وَنَظَرُوا

الْحَزِينَةُ أَوْ اجْتِمَاعَ الطَّبِيِّ وَالطَّاءُ وَوَسَّةٌ وَالْبَطَّةُ
 فَأَتَبَّكُوا عَلَيْهِمْ فَلَمَّا رَأَوْهُمْ الطَّاءُ وَوَسَّةٌ صُعِدَتْ إِلَى
 الشَّجَرَةِ ثُمَّ طَارَتْ فِي الْجَوِّ وَشَرَّ الطَّبِيُّ فِي الْبَرِّيَّةِ
 فَبَقِيََتِ الْبَطَّةُ مُخْبِتَةً وَلَمَّا رَأَى الْوَابِهَا حَتَّى صَادَهَا
 وَصَاحَتْ قَائِلَةً لَمَّا تَقَعْنِي الْحَدُّ رَمِّنِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ
 وَأَنْصَرَفُوا بِهَا إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَلَمَّا رَأَتْ الطَّاءُ وَوَسَّةٌ
 مَا جَرَى الْبَطَّةُ ارْتَحَلَتْ مِنَ الْحَزِينَةِ وَقَالَتْ لَا أَدَى
 إِلَّا فَاتٍ إِلَّا مَرَّاصِدُهُ لِكُلِّ أَحَدٍ وَلَوْلَا هَذِهِ السَّفِينَةُ
 مَا حَصَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ هَذِهِ الْبَطَّةِ إِفْتِرَاقٌ وَلَعَدُّ
 كَانَتْ مِنْ خِيَارِ الْأَصْدِقَاءِ ثُمَّ طَارَتْ الطَّاءُ وَوَسَّةٌ
 وَاجْتَمَعَتْ بِالطَّبِيِّ فَسَلَّمَ عَلَيْهَا وَهَنَّا هَا بِالسَّلَامَةِ
 وَسَالَهَا عَنِ الْبَطَّةِ فَقَالَتْ لَهُ أَخَذَهَا الْعَدُوُّ
 وَكَبُرَتْ الْمَقَامُ فِي ذَلِكَ الْحَزِينَةِ بَعْدَهَا ثُمَّ بَكَتْ
 عَلَى فِرَاقِ الْبَطَّةِ وَأَشْدَّتْ تَقْدُلُ:

إِنَّ يَوْمَ الْفِرَاقِ قَطَعَ قَلْبِي قَطَعَ اللَّهُ قَلْبَ يَوْمِ الْفِرَاقِ
 ثُمَّ قَالَتْ ابْصُرْ هَذَا الْبَيْتَ

تَمَنَيْتُ الْوَصَالَ يَوْمَ يَوْمًا لِأَخْبَرَهُ بِمَا صَنَعَ الْفِرَاقُ

فَاغْتَمَّ الظُّبْيُ غَمًّا شَدِيدًا أَوْ دَعَزَمَ الصَّلَاةَ وَوَسَّهَ
عَنِ الرَّحِيلِ فَأَقَامَتْ مَعَ الظُّبْيِ أَمِينَتَيْنِ أَكْلَيْنِ سَّارِيَيْنِ
غَيْرَ أَنَّهُمَا الْمَيْدَا الْحَزِينَيْنِ عَلَى فِرْلِقِ الْبَطَّةِ فَقَالَ الظُّبْيُ
لِلصَّلَاةِ وَوَسَّهَ: يَا أَخِي. قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ النَّاسَ الَّذِينَ
طَلَعُوا النَّارَ مِنَ الْمَرْكَبِ سَبَبًا لِفِرْاقِنَا وَهَلَاكِ
الْبَطَّةِ فَأَخَذَ رِيْهِمْ وَأَخْتَرَيْ مِنْهُمْ وَمِنْ مَكْرِبِيْ أَدَمَ
وَجَدَّاعِهِ. قَالَتْ: قَدْ عَلِمْتُ يَقِينًا أَنَّ مَا قَتَلَهَا غَيْرُ
تَرْكِهَا الشَّيْخِ وَلَقَدْ قُلْتُ لَهَا: إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ مِنْ
تَرْكِكَ الشَّيْخِ عَوَقِبَ بَهْلَاكِهِ. فَلَمَّا سَمِعَ الظُّبْيُ
كَلَامَ الصَّلَاةِ وَوَسَّهَ قَالَ: أَحْسَنَ اللَّهُ صُورَتَكَ وَأَقْبَلَ
عَلَى الشَّيْخِ لَا يَفْارُغُهُ سَاعَةٌ. قَدْ قِيلَ: إِنَّ لُسَيْمَ
الظُّبْيِ - سُبْحَانَ الدِّيَّانِ ذِي الْجَبُرُوتِ وَالسُّلْطَانِ:

حِكَايَةُ الطُّيُورِ

رَعِمُوا أَنَّ طَيْرًا مِنَ الطُّيُورِ طَارَ وَغَلَدَ إِلَى الْجَوْثِقِ ثُمَّ
ثُمَّ انْقَضَ عَلَى خُمُرَةٍ فِي وَسْطِ الْمَاءِ وَكَانَ الْمَاءُ جَارِيًا.
فَبَيْنَمَا الطَّائِرُ وَاقِفٌ إِذَا هُوَ بِرِقَّةِ إِنْسَانٍ جَرَّهَا الْمَاءُ

حَتَّى اسْتَدَهَا إِلَى بَلَدِكَ الصَّخْرَةِ وَقَدْ انْتَفَحَتْ مُرْتَفَعَتْ قَدَانَا
 مِنْهَا طَيْرُ الْمَاءِ وَقَامَ لَهَا ذُرَاهُ رَمَّةُ ابْنِ آدَمَ فَبَدَأَ فِيهَا
 صَرْبَ سَيُوفٍ وَطَعْنَ رِمَاحٍ. فَقَالَ طَيْرُ الْمَاءِ فِي نَفْسِهِ:
 أَظُنُّ أَنَّ هَذَا الْمَقْذُولَ كَانَ شَرِيرًا فَلَجَمَعَ عَلَيْهِ رِحْمَاءَهُ
 فَقَتَلُوهُ وَاسْتَرْجَوْا مِنْهُ وَمِنْ شَرِّهِ. وَلَمْ يَدْرَ طَيْرُ الْمَاءِ
 حَائِرًا وَهُوَ يَتَعَجَّبُ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا بِسُورٍ وَعِثْبَانٍ
 أَحَاطُوا بِبَلَدِ الْجَيْفَةِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهَا. فَمَا ذَاكَ ذَلِكَ
 طَيْرُ الْمَاءِ جَزَعٌ جَزَعًا شَدِيدًا أَوْ قَالَ لَا صَبْرَ لِي عَلَى
 الْإِقَامَةِ فِي هَذَا الْمَكَانِ ثُمَّ طَارَ مِنْهُ يُقَاتِلُ إِلَى
 مَوْضِعٍ يَأْوِيهِ إِلَى حَبْرٍ. تَقْدُ تِلْكَ الْجَيْفَةُ وَتَرَوْنَ سَبَاعَ
 الطَّيُورِ عَنْهَا. وَلَمْ يَزَلْ طَائِرًا حَتَّى وَجَدَ نَهْرًا فِي وَسْطِهِ
 شَجَرَةً. فَتَزَلَّ عَلَيْهَا مَذْخِرَاتُ كَيْبَانٍ يَتَنَاقَشُونَ عَلَى فِرَاقِ
 وَطَنِهِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: مَا زِلْتُ الْأَحْزَانُ تَتَّبِعُنِي وَكُنْتُ
 قَدْ اسْتَرْحْتُ لِمَا رَأَيْتُ تِلْكَ الْجَيْفَةَ وَفَرَحْتُ بِهَا فَرَحًا
 شَدِيدًا وَقُلْتُ: هَذَا ارْزُقُ سَاقَتَهُ اللَّهُ إِلَيَّ. فَصَارَ قَرْحِي
 عَمَّا دَسُّهُ وَرَى حَرْفًا وَهَمًّا فَأَخَذَتْهَا وَافْتَرَسَتْهَا سَبَاعُ
 الطَّيُورِ مَتْنِي وَحَالُوا بَنِي وَبَنِيهَا. فَكَيْفَ أَرْجُو أَنْ أَكُونَ

سَالِمًا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مِنَ الْكُذِّ وَأَطْمَئِنِّ إِلَيْهَا وَقَدْ قِيلَ
 فِي الْمَثَلِ: الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَهُ يُعْتَزُّ بِهَا مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ
 وَيُطْمَئِنُّ إِلَيْهَا بِمَالِهِ وَقَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ وَلَمْ يَزَلِ
 الْمُعْتَزُّ بِهَا رَاكِبًا إِلَيْهَا يَحْتَالُ فَوْقَ الْأَرْضِ حَتَّى يُصِيرَ تَحْتَهَا
 وَيَحْتَوِعُ عَلَيْهِ الرُّعَابُ أَعَزَّ النَّاسِ إِلَيْهِ وَأَقْرَبُهُمْ لِلدَّيْهِ وَمَا
 لِلْفَقِي خَيْرٌ مِمَّنِ الصَّابِرِ عَلَى هُمُومِهَا وَمَكَارِهِهَا وَقَدْ فَارَقْتُ
 مَكَانِي وَوَطَنِي وَكُنْتُ كَارِهًا بِفِرَاقِهِ إِخْوَانِي وَأَحِبَّائِي وَخَلَائِي
 فَبَيْنَمَا هُوَ فِي فِكْرَتِهِ إِذَا بَدَأَ كَرِهَ السَّلَاحِ حِفْزِ أَقْبَلِ
 مُنْجِدٍ رَأَى فِي الْمَاءِ وَدَقَامِنِ طَيْرِ الْمَاءِ وَسَلَّمَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ
 يَا سَيِّدِي مَا الَّذِي حَبَّبَكَ وَأَبْعَدَكَ عَنْ مَوْضِعِكَ قَالَ
 حُلُمُ الْأَعْدَاءِ فِيهِ وَلَا صَبْرٌ لِلْعَاقِلِ عَلَى مُجَاوَرَةِ عَدُوِّهِ
 وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِ الشُّعْرَاءِ:

إِذَا حَلَّ الثَّقِيلُ بِأَرْضِ قَوْمٍ فَمَا لِلْسَّاكِنِينَ سِوَى الْمَحْجِلِ
 فَقَالَ لَهُ الْغِيلُ: إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا وَصَفْتَهُ وَالْحَالُ
 مِثْلَ مَا ذَكَرْتَهُ - فَأَنَا لَا أَزَالُ بَيْنَ يَدَيْكَ وَلَا أَفَارَقُكَ
 لَا قُصِي لَكَ حَاجَتُكَ وَأَنْفِي بِمُجْدِ مَتِكَ - فَإِنَّهُ: لَا وَحْشَةَ
 أَشَدَّ مِنْ وَحْشَةِ الْغَرِيبِ الْمُنْقَطِعِ عَنْ أَهْلِيهِ وَطَنِهِ

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ نُرُقَةَ الصَّالِحِينَ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ عِزٍّ مِنَ
الْمَصَائِبِ. وَأَحْسَنُ مَا يُسَلَّى بِهِ الْعَارِقُ لِنَفْسِهِ
الِاسْتِحْسَانُ فِي الْعُرْبَةِ وَالصَّبْرُ عَلَى الرَّزِيئَةِ وَالْكَرْبَةِ.
وَأَرْجُو أَنَّ مُحَمَّدًا صَحْبَتِي مَعَكَ وَأَكُونَ لَكَ خَادِمًا مُعِينًا
فَلَمَّا سَمِعَ طَيْرُ الْمَاءِ مَقَالَهُ الْغَيْلِمُ قَالَ لَهُ: لَقَدْ صَدَقْتَ
فِي قَوْلِكَ وَلَعَمْرِي إِنِّي رَجَدْتُ لِلْفِرَاقِ الْمَاوِعُ مَدَّةً
بَعْدَ مَا عَنِ مَكَانِي وَفِرَاقِي لِأَخَوَانِي وَخَلَا فِي لَأَنِّ فِي الْفِرَاقِ
عِبْرَةٌ لِمَنْ أَعْتَبَرَ وَفِكْرَةٌ لِمَنْ تَفَكَّرَ. وَإِذَا الْمُسْجِدُ الْغَنَى
مَنْ يُسَلِّيهِ مِنَ الْأَصْحَابِ يَقْطَعُ عَنْهُ الْخَيْرَ أَبَدًا وَ
يَتَّبِعُ الشَّرَّ سَرْمَدًا. وَلَيْسَ لِلْعَارِقِ إِلَّا التَّسَلِّيُ
بِالْإِخْوَانِ عَنِ الْهُمَمِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ. وَمَلَايِمَةُ الصَّبْرِ
وَالْتَّجَلِّي. فَإِنَّهُمَا خَصْلَتَانِ فَحُمُودَتَانِ يُعِينَانِ عَلَى
الْمُصِيبَةِ وَنَوَائِبِ الدَّهْرِ. وَيَدُفَعَانِ الْفِرَاقَ وَالْجَزَعَ
فِي كُلِّ أَمْرٍ فَقَالَ لَهُ الْغَيْلِمُ: إِنِّيكَ وَالْجَزَعَ. فَإِنَّهُ يُفْسِدُ
عَلَيْكَ عَيْشَكَ. وَيَدُفَعُ عَنْكَ: وَمَا ظَلَا يَتَّحَدُّ مَتَانِ
مَعَ بَعْضِهِمَا إِلَى أَنْ قَالَ طَيْرُ الْمَاءِ لِلْغَيْلِمِ: إِذَا الْقَارِئُ أَخَشَى
نَوَائِبَ التَّزَمَانِ وَطَوَارِقَ الْحَيْدَتَانِ: فَلَمَّا سَمِعَ الْغَيْلِمُ مَقَالَهُ

طَيْرِ الْمَاءِ أَقْبَلَ عَلَيْهِ وَقَبْلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ لَهُ:
 لَمْ تَزَلْ جَمَاعَةُ الطَّيْرِ تَتَّبِعُكَ بِكَ وَتَعْرِفُ فِي مَشُورَتِكَ
 الْخَيْرَ فَكَيْفَ تَحْمِلُ الْهَمَّ وَالضَّرِيرَ وَلَمْ يَزَلْ يُسْكِنُ
 دَرْعَ طَيْرِ الْمَاءِ حَتَّى أَظْمَأَنَّ ثُمَّ لَانَ طَيْرِ الْمَاءِ طَارَ إِلَى
 مَكَانِ الْحَيْفَةِ فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ لَمْ يَرِ مِنْ سِلَاحِ الطَّيْرِ شَيْئًا
 وَلَا مِنْ تِلْكَ الْحَيْفَةِ إِلَّا عِظَامًا مُرَجَّجَةً وَأَخْبَرَ الْغَيْلَمَ بِزَوَالِ
 الْعَدُوِّ مِنْ مَكَانِهِ وَقَالَ لَهُ: إِنْ لَمْ أَقِ أَحَبَّ الرُّجُوعِ إِلَى
 مَا كَانِي لَا تَهْلِي بِي خِلَافِي فَإِنَّهُ لَا صَبْرَ لِلْعَاقِلِ عَلَى فِرَاقِ
 وَطَنِهِ فَأَتَيْنَا إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا يَخَافُ أَنْ
 مِنْهُ فَأَنْشَدَ طَيْرُ الْمَاءِ يَقُولُ:

لَسَرَبَتْ نَارُ لَوْ يَضِيقُ لَهَا الْفَتَى : دَرْعًا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْمَخْرُجُ

ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَمَّ كُنْتُ حَلَقَاتُهَا

فُرِبَتْ وَكُنْتُ أَظُنُّهَا لَا تُفَرُّ

ثُمَّ إِنَّهُمَا سَكَنَانِي تِلْكَ الْجَزِيرَةَ فَبَيْنَمَا طَيْرُ
 الْمَاءِ مَسْرُورٌ آمِنٌ إِذْ سَاقَ الْقَضَاءُ إِلَيْهِ بَارِيًا جَائِعًا
 فَضَرَبَهُ بِخَلْبِهِ فِي بَطْنِهِ ضَرْبَةً فَقَتَلَهُ وَلَمْ يُغْنِ
 عَنْهُ الْحَذَرُ عِنْدَ فَرَاعِ الْأَجَلِ وَسَبَبَ قَتْلَهُ غَفْلَتُهُ

عَنِ السَّبِيحِ. قِيلَ إِنَّ تَسْبِيحَهُ سُبْحَانَ رَبِّنَا فِي مَا قَدْ رُوِيَ
سُبْحَانَ رَبِّنَا فِي مَا أَغْنَىٰ وَافَقَ هَذَا مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ طَائِفَةِ
الْمَاءِ وَجَوَارِحِ الطُّمُورِ.

الدَّرَاجُ وَالسَّلَاحِفُ

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ رَضِيَ بِاللَّذَّةِ الْبَسِيرَةِ فَهَلَكَ
حِكْمِي أَنَّ سَلَاحِفًا كَانَتْ فِي جَزِيرَةٍ مِنَ الْجَزَائِرِ كَانَتْ تِلْكَ
الْجَزِيرَةُ ذَاتَ اشْجَارٍ وَأَشْمَارٍ وَأَنْهَارٍ فَاتَّفَقَ أَنَّ دُرُجًا اجْتَاَزَ
بِهَا يَوْمًا وَقَدْ أَصَابَهُ الْحَرُّ وَالثَّعْبُ فَلَمَّا أَصْرَبَ ذَلِكَ
حَظَّ مِنْ طَيْرٍ أَرَادَ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ الَّتِي بِهَا تِلْكَ السَّلَاحِفُ.
فَلَمَّا دَاوَى السَّلَاحِفَ التَّجَارِيْلُهَا وَنَزَلَ عِنْدَهَا وَكَانَتْ
السَّلَاحِفُ تَرَعِي فِي جِهَاتِ الْجَزِيرَةِ ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى مَكَانِهَا فَلَمَّا
رَجَعَتْ مِنْ مَسَارِحِهَا إِلَى مَكَانِهَا رَأَتْ الدَّرَاجَ فَبَيَّرَتْ فَلَمَّا رَأَتْهُ
أَحْبَبَتْهُ وَرَبَّيْنَهُ اللَّهُ لَهَا. فَسَبَّحَتْ خَالِقَهَا وَاحْبَبَتْ هَذَا
الدَّرَاجَ مُحِبًّا سَدِيدًا أَوْفَرَ حَثِيَّةً. ثُمَّ قَالَ بَعْضُهَا
لِبَعْضٍ يَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا مِنْ أَحْسَنِ الطُّيُورِ فَصَارَتْ كُلُّهَا
تُحَافِظُهُ وَتَجْتَمِعُ إِلَيْهِ فَلَمَّا رَأَى مِنْهَا عَيْنَ الْمُحِبَّةِ

مَالِ إِلَيْهَا وَاسْتَأْنَسَ بِهَا وَصَارَ يُطِيرُ إِلَى أَيِّ جِهَةٍ أَرَادَ
وَعِنْدَ الْمَسَاءِ يَرْجِعُ إِلَى الْمَبِيتِ عِنْدَ مَا فَإِذَا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ
يُطِيرُ إِلَى حَيْثُ أَرَادَ وَصَلَتْ هَذِهِ عَادَتُهُ. وَاسْتَمَرَ عَلَى
هَذِهِ الْحَالِ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ فَلَقَارَأَتِ السَّلَاحِفُ أَنَّ
غِيَابَهُ عَنْهَا يُوحِشُهَا وَتَحَقَّقَتْ أَنَّهَا لَا تَرَاهُ إِلَّا فِي اللَّيْلِ وَإِذَا
أُصْبَحَ طَارَ مُبَادِرًا وَلَا تَشْعُرُ بِهِ مَعَ زِيَادَةِ حُبِّهَا لَهُ قَالَ
بَعْضُهَا: إِنَّ هَذَا الدُّرَّاجَ قَدْ أَحْبَبَنَا وَصَارَ لَنَا صَدِيقًا
وَمَا بَقِيَ لَنَا قُدْرَةٌ عَلَى فِرَاقِهِ، فَمَا يَكُونُ مِنَ الْحَسِيلَةِ
الْمَوْصِلَةِ إِلَى إِقَامَتِهِ عِنْدَنَا إِذْ إِنَّمَا لِكُنْهَ إِذَا طَارَ نَعِيبُ
عَنَّا النَّهَارَ كُلَّهُ وَلَا تَرَاهُ فِي اللَّيْلِ. فَأَسَانَتْ عَلَيْهَا وَاحِدَةً
قَائِلَةً: اسْتَرِحِي يَا أَخَوَاتِي زَاوَا أَجْعَلُهُ لَا يَفَارِقُنَا
طَرْفَةَ عَيْنٍ فَقَالَ لَهَا الْجَمِيعُ: إِنْ فَعَلْتِ ذَلِكَ كُنَّا لَكَ
كُلَّنَا عَبِيدًا.

فَلَمَّا حَضَرَ الدُّرَّاجُ مِنْ مَسَرِّحِهِ وَجَلَسَ بَيْنَهُمَا تَقَرَّبَتْ
مِنْهُ السُّلْحَفَةُ الْمُحْتَالَةُ وَدَعَتْ لَهُ وَهَنَاتِهِ بِالسَّلَامَةِ
وَقَالَتْ لَهُ: يَا سَيِّدِي أَعْلَمْتُ أَنَّ قَدْ رَزَقَكَ مِثْلًا
الْمَحَبَّةَ وَكَذَلِكَ أَوْدَعَ قَلْبَكَ مَحَبَّتَنَا وَصِرَتْ لَنَا فِي هَذَا

الْفَقْرَ أَيْسَاءً وَأَحْسَنُ أَوْقَاتِ الْمُحِبِّينَ إِذَا كَانُوا الْجَمْعَ مَعِدِنَ
 وَالْبَلَاءَ الْعَظِيمَ فِي الْبُعْدِ وَالْفِرَاقِ - وَلَكِنَّكَ تَتْرُكُنَا
 عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ وَلَمْ تَعُدْ تَعُدْ الْيَتَامَى عِنْدَ الْغُرُوبِ
 فَيَصِيرُ عَمْدًا نَافِثَةً زَائِلَةً - وَقَدْ شَقَّ عَلَيْنَا ذَلِكَ
 كَثِيرًا وَنَحْنُ فِي وَجْدٍ عَظِيمٍ بِهَذَا السَّبَبِ - فَقَالَ لَهَا
 اللَّهُ رَاجُ: نَعَمْ أَنَا عِنْدِي مَعْبَةٌ لَكُنْ وَاشْتِيَاقٌ عَظِيمٌ
 إِلَيْكَ زِيَادَةٌ عَلَى مَا عِنْدَكَ كُنْ وَفِرَاكُنْ لَيْسَ سَهْلًا
 عِنْدِي - لَكِنْ مَا بِيَدِي حِيلَةٌ فِي ذَلِكَ يَكُونُ فِي طَيْرٍ
 يَا جُنُودِي فَلَا تُنْكِبْنِي الْمَقَامَ مَعَكُمْ دَائِمًا لِأَنَّهُ هَذَا
 لَيْسَ مِنْ طَبِيعِي - فَلَمَّا الطَّيْرُ ذَا الْأَجْنَحَةِ لَيْسَ لَهُ
 مُسْتَقَرٌّ إِلَّا فِي اللَّيْلِ لِأَجْلِ النَّوْمِ فَلَمَّا أَطْبَقَ طَارَوْ
 وَسَرَّحَ فِي أَمَى مَوْضِعٍ أَعْجَبَهُ - فَقَالَتْ لَهُ السُّلْحَفَةُ:
 صَدَقْتَ وَلَكِنْ ذُو الْأَجْنَحَةِ فِي غَالِبِ الْأَوْقَاتِ لَارَاحَةً
 لَهُ لِيَكُونَهُ لَا يَمَالُهُ مِنَ الْخَيْرِ رُبْعُ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ
 الْمَشَقَّةِ وَغَايَةِ الْمَقْصُودِ لِلشَّخْصِ الرِّفَا هِيئَةً
 وَالرَّاحَةَ وَنَحْنُ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ الْمَحَبَّةَ
 وَالْأُلْفَةَ وَتَحْشَى عَلَيْكَ مِمَّنْ يَصْطَادُكَ مِنْ أَعْدَائِكَ

فَتَهْلِكُ وَتُحْرَمُ مِنْ رُؤْيَا وَجْهَتِ :

فَاجَابَهَا الدُّرَّاجُ قَائِلًا: صَدَقْتَ . وَلَكِنْ مَا
عِنْدَكَ مِنَ الرَّأْيِ وَالْحِيلَةِ فِي أَمْرِي . فَقَالَتْ لَهُ: أَلَمْ أَرَأِ
عِنْدِي أَنْ تَتَنَفَّسَ سَوَاعِدَكَ الَّتِي تُشْرِعُ بِطَيْرَانِكَ وَ
تَقْعُدَ عِنْدَنَا مُسْتَرِيحًا وَتَأْكُلَ مِنْ أَكْلِنَا وَتَشْرَبَ مِنْ
شُرْبِنَا فِي هَذِهِ الْمَسَرَّحَةِ الْكَثِيرَةِ الْأَشْجَارِ الْيَابِغَةِ
الْأَثْمَارِ وَتُقِيمَ مَعَنَا وَأَنْتَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْمُخْصِبِ
وَيَتَمَتَّعَ كُلُّ مَتَابِصَاحِبِهِ . فَمَالَ الدُّرَّاجُ إِلَى قَوْلِهَا
وَقَصَدَ الرَّاحَةَ لِنَفْسِهِ . ثُمَّ تَنَفَّسَ رِيثَهُ وَاحِدَةً بَعْدَ
وَاحِدَةٍ حَكْمَ مَا اسْتَحْسَنَهُ مِنْ رَأْيِ السُّلُخَاءِ وَاسْتَقَرَّ
عِنْدَهُنَّ عَائِشًا مَعَهُنَّ وَرَضِيَ بِاللَّذَّةِ . الْبَسِيزَةِ وَ
الطَّرَبِ الرَّائِلِ :

فَبَيْنَمَا هُنَّ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ إِذَا بِابْنِ عَرِسٍ قَدْ مَرَّ
فَرَمَقَهُ بَعْضُهُنَّ وَقَامَلَهُ فَرَأَاهُ مَقْصُوصَ الْجَنَاحِ لَا يَسْتَطِيعُ
النُّهُوصَ . فَكُنَّ رَاةً عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ فَرِحَ فَرَحًا شَدِيدًا
وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: إِنَّ هَذَا الدُّرَّاجَ سَمِينُ اللَّحْمِ قَلِيلُ
الْيَاسِ . ثُمَّ دَنَا مِنْهُ ابْنُ عَرِسٍ وَافْتَرَسَهُ . فَصَاحَ

الدُّرَّاجُ وَطَلَبَ النُّجْدَةَ مِنَ السَّلَاحِ فَلَمْ يَتَّخِذْهُ
 بَلْ تَبَاعَدَن عَنْهُ وَأَكْسَنَ فِي بَعْضِهِنَّ لَمَّا رَأَيْنِ ابْنَ
 عَرِسٍ قَائِضًا عَلَيْنَا وَحَيْثُ رَأَيْنِ ابْنَ عَرِسٍ يُعَذِّبُهُ
 خَنْقُهُنَّ الْبُكَاءُ عَلَيْنَا فَقَالَ لَهُنَّ الدُّرَّاجُ: هَلْ عِنْدَكُنَّ
 شَيْءٌ مِغِيرَ الْبُكَاءِ فَنَقْلُنَ لَهُ: يَا أَخَانَا لَيْسَ لَنَا قُوَّةٌ
 وَلَا طَاقَةٌ وَلَا حِيلَةٌ فِي أَمْرِ ابْنِ عَرِسٍ - فَخَوَّنَ الدُّرَّاجُ
 عِنْدَ ذَلِكَ وَقَطَعَ الرِّجَاءَ مِنْ حَيَاةِ نَفْسِهِ - وَقَالَ لَهُنَّ:
 لَيْسَ لَكُنَّ ذَنْبٌ إِنَّمَا الدَّيْنُ بِي حَيْثُ أَطَعْتُكُمْ وَتَفَقْتُ
 أَجْنِحَتِي الَّتِي أَطِيرُ بِهَا - فَأَنَا اسْتَحَيْتُ الْهَلَكَ لِمَطَاوِعِي
 لَكُنَّ وَلَا أَلُومُكُمْ فِي شَيْءٍ

التَّعَالِبُ وَالذَّنْبُ

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ لَمْ يَعْدِلْ فِي تَحْكِيمِهِ فَتَكُونُ عَاقِبَتُهُ
 الْبَوَارُ

رَعَوْهُمَا أَنْ جَمَاعَةً مِنَ التَّعَالِبِ خَرَجُوا ذَاتَ يَوْمٍ
 يَطْلُبُونَ مَا يَأْكُلُونَ - فَبَيْنَمَا هُمْ يَجُولُونَ فِي طَلَبِ ذَلِكَ
 إِذَا هُمْ بِجَمَلٍ مَيِّتٍ فَقَالُوا فِي أَنْفُسِهِمْ: قَدْ وَجَدْنَا

مَا نَعِيشُ بِهِ زَمَانًا طَوِيلًا وَلَكِنْ نَخَافُ أَنْ يَنْبَغِيَ بَعْضُنَا
عَلَى بَعْضٍ - وَبِمِثْلِ الْقَوَى يَقْوِيهِ عَلَى الضَّعِيفِ - فَيَهْلِكُ
الضَّعِيفُ مِنَّا - فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَطْلُبَ حَكْمًا يَحْكُمُ بَيْنَنَا وَ
تَجْعَلَ لَهُ نَصِيبًا فَلَا يَكُونُ لِلْقَوَى سُلْطَةٌ عَلَى الضَّعِيفِ -
فَبَيْنَمَا هُمْ يَتَشَاوَرُونَ فِي شَأْنِ ذَلِكَ إِذْ ابْدَأَ
أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِنْ أَصَابَ رَأْيُكُمْ
فَلْجَعَلُوا هَذَا الَّذِي تَبْتَغُونَ حَكْمًا بَيْنَنَا لِأَنَّهُ أَقْوَى التَّائِسِ
وَأَبْوَهُ سَاجِدًا كَانَ سُلْطَانًا عَلَيْنَا وَنَحْنُ نُرْجُوا مِنَ اللَّهِ
أَنْ يَعْدِلَ بَيْنَنَا - ثُمَّ رَأَتْهُمْ تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ وَخَبَرُوهُ بِمَا
صَارَ إِلَيْهِ رَأَيْتَهُمْ وَقَالُوا: لَقَدْ حَكَمْنَاكَ بَيْنَنَا لِأَجْلِ
أَنْ تُعْطَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا مَا يَقْوِيهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ - عَلَى قَدَرِ
حَاجَتِهِ لِئَلَّا يَنْبَغِيَ قَوِيٌّ عَلَيَّ ضَعِيفًا فَيُهْلِكُ بَعْضُنَا
بَعْضًا فَاجَابَهُمُ الذَّائِبُ إِلَى قَوْلِهِمْ وَتَعَالَى أَمْرُهُمْ وَنَسَمَ
عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَا كَفَاهُمْ - فَلَمَّا كَانَ الْعَدُوُّ قَالَ
الَّذِي تَبْتَغِي فِي نَفْسِهِ: إِنَّ قِسْمَةَ هَذَا الْجَمَلِ بَيْنَ هَؤُلَاءِ
الْعَاجِزِينَ لَا يَعُودُ عَلَيَّ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَّا الْجُزْءُ الَّذِي
جَعَلُوهُ لِي - وَإِنْ أَكَلْتَهُ وَخَدَيْتُهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ

فِي ضَرْأٍ مَعَ أَنَّهُمْ غَمٌّ لِي وَلِأَهْلِ بَيْتِي مِنَ الَّذِي دُمْتُ مَتَعِي
 أَنْ أَخَذَ هَذَا النَّفْسِي. وَلَعَلَّ اللَّهَ مَسَّبَهُ لِي بِغَيْرِ حِمْلِي
 مِنْهُمْ. قَالَ أَحْسَنُ لِي أَنْ أَخْتَقِ بِهِمْ دُفْتَهُمْ وَمِنْ هَذَا
 الْوَقْتِ لَا أُعْطِيهِمْ شَيْئًا فَلَمَّا أَصْبَحَ الثَّعَالِبُ جَاءُوا إِلَيْهِ
 عَلَى الْعَادَةِ يَطْلُبُونَ مِنْهُ قُوتَهُمْ فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا سُرْحَانَ
 أَعْطِنَا مَوْتَهُ يَوْمَنَا. فَأَجَابَهُمْ قَائِلًا مَا بَقِيَ عِنْدِي شَيْءٌ
 أُعْطِيهِ لَكُمْ. فَذَاهَبُوا مِنْ عِنْدِهِ عَلَى أَشْوَاءٍ حَالٍ ثُمَّ
 قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ أَوْفَعَنَا فِي هَذِهِ عَظِيمٍ مَعَ هَذَا الْخَاسِرِ
 الْخَبِيثِ الَّذِي لَا يَتَّقِي اللَّهَ وَلَا يَخَافُهُ وَلَيْسَ لَنَا حَوْلٌ
 وَلَا قُوَّةٌ. ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّمَا حَمَلَهُ سُعَالِي
 هَذَا الْأَمْرِ صُرُورَةُ الْجُوعِ. فَذُعُوهُ الْيَوْمَ يَا كُلُّ مَنْهُ
 حَتَّى يَشْبَعَ وَفِي عِدَّةٍ تَذْهَبُ إِلَيْهِ. فَلَمَّا أَصْبَحُوا تَوَجَّهُوا
 إِلَيْهِ وَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا سُرْحَانَ إِنَّمَا وَلَيْنَا عَلَيْكَ
 لِأَجْلِ أَنْ تَدْفَعَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ قُوَّتِهِ وَتُصِفَ الضَّعِيفُ
 مِنَ الْقَوِيِّ. وَإِذَا فَرَّغَ تَجَهَّدْ لَنَا فِي تَحْصِيلِ غَيْرِهِ وَنُصِيرْ
 دَائِمًا نَحْنُ كَنَفِكَ وَرِعَايَتِكَ وَقَدْ مَسَّنَا الْجُوعُ وَلَنَا يَوْمَانِ
 مَا أَكَلْنَا فَأَعْطِنَا مَوْتَنَا وَأَنْتَ فِي حِلٍّ مِنْ جَمِيعِ مَا

جَمِيعِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالشَّرَابِ الطَّيِّبِ فَرَفَعَ طَرَفَهُ
 إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: سُبْحَانَكَ يَا رَبِّ يَلْخَاوَنُ يَا رَازِقُ تَزِدُّنَا
 مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ جَمِيعِ
 الذَّنُوبِ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ مِنَ الْعَيْبِ. يَا رَبِّ لَا أُعْزِضُ
 عَلَيْكَ فِي مَمْلَكَتِكَ وَقَدْ رَفَعْتَ فَإِنَّكَ لَا تَسْتَلُ عَمَّا تَفْعَلُ
 وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. سُبْحَانَكَ تُغْفِرُ مَنْ تَشَاءُ وَ
 تَقْصِرُ مَنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتَذِلُّ مَنْ تَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا
 أَنْتَ مَا أَعْظَمَ شَأْنُكَ وَمَا أَقْوَى سُلْطَانُكَ وَمَا أَحْسَنَ
 تَدَابِيرُكَ قَدْ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ مِنْ تَشَاءٍ مِنْ عِبَادِكَ فَهَذَا
 الْمَكَانُ صَاحِبُهُ فِي غَايَةِ النِّعْمَةِ وَهُوَ مُتَكَلِّمٌ بِاللَّسَانِ وَرَاشِحٌ
 بِالْمُطِيفَةِ وَالْمَأْكُلِ الَّذِي يَذَرُهُ وَالْمَشَارِبِ الْفَاحِشَةِ فِي
 سَائِرِ الصِّفَاتِ. وَقَدْ أَحْكَمْتَ فِي خَلْقِكَ بِمَا تُرِيدُ وَ
 قَدْ رُفِعَتْ عَلَيْهِمْ. وَمِنْهُمْ تَعْبَانُ وَمِنْهُمْ مُسْتَرِيحٌ وَمِنْهُمْ
 سَعِيدٌ وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ مِثْلِي فِي غَايَةِ التَّعَبِ وَالذَّلِّ
 وَأَشَدَّ يَقُولُ:

فَكَمْ مِنْ شَيْءٍ بِلَا رَاحَةٍ يَنْعَمُ فِي حَيْثُ فِيهِ وَظِلٌّ
 وَاصْبَحْتُ فِي تَعَبٍ زَائِدٍ وَأَمْرِي بِحَيْثُ وَقَدْ زَادَ حَيْثُ

وَعَيْرِي سَعِيدٌ بِلَا شَوْعَةٍ وَمَا حَلَّ الدَّهْرَ مِنِّي مَا حَمَلَنِي
يَتَعَمُّ فِي عَيْشِهِ دَائِمًا يَبْسُطُ دَعِيرَ وَشَرِبَ وَأَكَلَ
وَكُلُّ الْخَلَائِقِ مِنْ نُطْفَةٍ أَنَا مِثْلُ هَذَا أَوْ هَذَا الْمِثْلُ
وَلَكِنْ شَتَانُ مَا بَيْنَنَا وَشَتَانُ مَا بَيْنَ حَمِيرٍ وَخَلٍ
وَلَسْتُ أَقُولُ عَلَيْكَ أَفْرَاءً فَأَنْتَ حَكِيمٌ وَحَكَمْتَ بِعَدَلٍ
فَلَمَّا فَرَعَ السُّنْدَ بَادُ الْحِمَالِ مِنْ شَعْرَةٍ وَنَظْمِهِ أَرَادَ
أَنْ يَحْمِلَ حَمَلَتَهُ وَيَسِيرَ أَذْكَرَ طَلَعَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ
غُلَامٌ صَغِيرُ السِّنِّ حَسَنُ الْوَجْهِ مَلِيحُ الْقَدِّ فَاحْزَرُ
الْمَلَابِسِ - فَقَبِضَ عَلَى يَدِ الْحِمَالِ وَقَالَ لَهُ: أَدْخُلْ كَلِمَ
سَيِّدِي فَإِنَّهُ يَمِدُّ عُنُوكَ فَأَرَادَ الْحِمَالُ الْإِمْتِنَاعَ مِنْ
الدُّخُولِ مَعَ الْغُلَامِ دَاخِلَ الدَّارِ فَوَجَدَ دَارًا مَسْلُوحَةً
وَعَلَيْهَا أَنْسُ وَوَتَارُ وَنَظَرَ إِلَى مَجْلِسِ عَظِيمٍ فَظَرَ فِيهِ مِنَ
السَّادَاتِ الْكِرَامِ وَالْمَوَالِي الْعِظَامِ وَفِيهِ مِنْ جَمِيعِ أَصْنَافِ
الْمَشْهُورِ وَمِنْ أَنْوَاعِ النُّقْلِ وَالْفَوَاكِهِ وَشَيْئًا كَثِيرًا
وَمِنْ أَصْنَافِ الْأَطْمَعَةِ النَّفِيسَةِ وَفِيهِ مَشْرُوبٌ مِنْ
خَوَاصِ دَوَائِ الْكُرُومِ وَفِيهِ آتُ السَّلَاحِ وَالطَّرِيقِ مِنْ
أَصْنَافِ الْجَوَارِي الْحَسَنِينَ كُلِّ فَنٍّ فِيهِمْ فِي مَقَامِهِ عَلَى حَسَبِ

الْثَّيِّبِ - وَفِي صَدْرِهِ ذَلِكَ الْمَجْلِسُ رَجُلٌ عَظِيمٌ مُعْتَرِمٌ قَدْ لَكَزَهُ
الشَّيْبُ فِي عَوَارِضِهَا وَهُوَ مَلِيحُ الصُّورَةِ حَسَنُ الْمَنْظَرِ وَ
عَلَيْهِ هَيْبَةٌ وَدَقَّادٌ وَوَعَزٌّ وَافْتِحَارٌ فَعِنْدَ ذَلِكَ بَهَتَ
السَّنْدُ بَادُ الْحَمَّالِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ - رَأَيْتُ أَنَّ هَذَا الْمَكَانَ
مِنْ بَقْعِ الْجَنَانِ أَوْ إِنَّهُ يَكُونُ مَلِكٍ أَوْ سُلْطَانٍ ؛ ثُمَّ
لَمَنَّهُ تَأَذَّبَ وَسَلَّمْ عَلَيْهِمْ وَدَعَا لَهُمْ وَقَبَّلَ الْأَرْضَ بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَوَقَفَ هُوَ مُنْكِسُ الرَّأْسِ مُتَخَشِّعٌ - فَأَذِنَ لَهُ
صَاحِبُ الْمَكَانِ بِالْجُلُوسِ فَجَلَسَ وَقَدْ قَرَّبَهُ إِلَيْهِ وَصَارَ
يُؤَانِسُهُ بِالْكَلَامِ وَيُرِجِبُ بِهِ - ثُمَّ قَدَّمَ لَهُ شَيْئًا مِنْ
أَنْوَاعِ الطَّعَامِ الْمَفْتَحِخِ الطَّيِّبِ الرَّفِيفِ - فَقَدَّمَ السَّنْدُ بَادُ
الْحَمَّالِ وَسَمَّى وَكُلَّ الْكَفَى وَشَبِعَ وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ
عَلَى كُلِّ حَالٍ - ثُمَّ لَمَنَّهُ غَسَلَ يَدَيْهِ وَشَكَرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ
فَقَالَ صَاحِبُ الْمَكَانِ - مَرَحَبًا بِكَ وَنَهَارُكَ مُبَارَكٌ
فَمَا يَكُونُ اسْمُكَ - فَمَا تَعَانِي مِنَ الصَّنَائِعِ - فَقَالَ لَهُ
يَا سَيِّدِي إِسْمِي السَّنْدُ بَادُ الْحَمَّالِ وَأَنَا أَحْمِلُ عَلَى رَأْسِي
أَسْبَابَ النَّاسِ بِالْأُجْرَةِ - فَبَسَّمَ صَاحِبُ الْمَكَانِ وَ
قَالَ لَهُ : اْعْلَمْ يَا حَمَّالُ أَنَّ اسْمَكَ مِثْلُ اسْمِي - فَأَنَا

السُّدَّ بَادُ الْبَحْرِ وَلَكِنْ يَاحْتَمَالُ قَصْدِي أَنْ تُسَمِّحَنِي
 الْأَبْيَاتَ الَّتِي كُنْتَ يُنْشِدُهَا وَأَنْتَ عَلَى الْبَابِ. فَأَسْتَحْيِ
 الْحَمَّالُ وَقَالَ لَهُ: بِاللهِ عَلَيْكَ لَا تُؤْخِذْنِي فَإِنَّ التَّعَبَ
 وَالْمَشَقَّةَ وَقِلَّةَ مَا فِي الْيَدِ يُعَلِّمُ الْإِنْسَانَ قِلَّةَ الْأَدَبِ
 وَالسَّفَرِ. فَقَالَ لَهُ: لَا تَسْتَحْ فَأَنْتَ صَوْتُ أَخِي فَأَنْشِدِ
 الْأَبْيَاتَ فَإِنَّهَا أَتَجَبَّبُنِي لَمَّا سَمِعْتُهَا مِنْكَ وَأَنْتَ تُنْشِدُهَا
 عَلَى الْبَابِ. فَعِنْدَ ذَلِكَ فَأَنْشَدَ الْحَمَّالُ ذَلِكَ الْأَبْيَاتَ فَاتَّجَبَّبَ
 وَطَرِبَ لِسَمَاعِهَا وَقَالَ لَهُ: يَاحْتَمَالُ أَعْلَمْتُ أَنَّ لِي قِصَّةَ عَجِيبَةٍ
 وَسَوْفَ أَخْبِرُكَ بِجَمِيعِ مَا صَارَ لِي وَمَا جَرَى لِي مِنْ قَبْلِ أَنْ أَصِلَ
 إِلَى هَذِهِ السَّعَادَةِ وَأَجْلِسْ فِي هَذَا الْمَكَانِ الَّذِي تَرَانِي فِيهِ
 فَإِنِّي مَا وَصَلْتُ هَذِهِ السَّعَادَةَ وَهَذَا الْمَكَانَ إِلَّا بَعْدَ
 تَعَبٍ شَدِيدٍ وَمَشَقَّةٍ عَظِيمَةٍ وَأَهْوَالٍ كَثِيرَةٍ وَكَمْ
 قَاسَيْتُ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ مِنَ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ وَقَدْ
 سَافَرْتُ سَبْعَ سَفَرَاتٍ وَكُلُّ سَفَرَةٍ لَهَا حِكَايَةٌ عَجِيبَةٌ
 فَحَيَّرَ الْفِكَرَ

السَّفَرَةُ السَّادِسَةُ

مِنَ السَّيِّئِ السَّقَرَاتِ لِلسَّنَدِ بَادِ الْبَحْرِ
 اَعْلَمُوا يَا سَادَةَ يَا كِهَامَ اَنْتُمْ كَانْتُمْ فِي ابْنِ تَاجِرٍ وَكَانَ
 مِنْ اَكَابِرِ النَّاسِ وَالتَّجَارَةِ وَكَانَ عِنْدَهُ مَالٌ كَثِيرٌ وَ
 نَوَالٌ جَزِيلٌ وَقَدْ مَاتَ وَاَنَا ذَلِكُ صَغِيرٌ وَخَلَفْتُ فِي مَالِهِ
 وَعَقَارًا وَضِياعًا فَلَمَّا كَبُرْتُ وَصَعْتُ يَدِي عَلَى الْجَمِيعِ
 وَقَدْ أَكَلْتُ أَكْلًا مَلِيحًا وَشَرَبْتُ شَرْبًا مَلِيحًا وَعَاشَرْتُ
 السَّيِّئَاتِ وَتَجَمَّلْتُ بِلبَاسِ الثِّيَابِ وَمَشَيْتُ مَعَ الْخُلَاقِ
 وَالْأَصْحَابِ وَاعْتَقَدْتُ أَنَّ ذَلِكَ يَدُومُ لِي وَيَنْفَعُنِي وَلَمْ
 أَزَلْ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ مُدَّةً مِنَ الثَّمَانِ وَأَفَقْتُ مِنْ غَفْلَتِي
 ثُمَّ رَأَيْتُ رَجَعْتُ إِلَى عَقْلِي فَوَجَدْتُ مَا لِي قَدْ مَالَ وَحَالِي قَدْ
 حَالَ وَتَدَدَ ذَهَبَ جَمِيعُ مَا كَانَ مِنِّي وَلَمْ أَسْتَفِقْ لِنَفْسِي
 إِلَّا وَأَنَا مَرْمُوءٌ مَدَّ هَوُسٌ وَقَدْ تَفَكَّرْتُ حِكَايَةَ كُنْتُ
 أَسْمَعُهَا سَابِقًا مِنْ أَبِي وَهِيَ حِكَايَةُ سَيِّدِنَا سُلَيْمَانَ بْنِ
 دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ ثَلَاثَةٌ خَيْرٌ مِنْ ثَلَاثَةِ
 يَوْمٍ أَمْعَاتٍ خَيْرٌ مِنْ يَوْمٍ الْوَلَادَةِ - وَكَلْبٌ خَيْرٌ مِنْ
 سَبْعِ مَيِّتٍ - وَالْقَبْرُ خَيْرٌ مِنَ الْفَقْرِ - ثُمَّ رَأَيْتُ قُمْتُ وَ
 جَمَعْتُ مَا كَانَ عِنْدِي مِنْ آثَارِ وَمَلْبُوسٍ وَبَعَثْتُ ثُمَّ

بُثُّ عَقَارِي وَجَبَّعَ مَا تَمَلَّكَتْ يَدِي فَجَمَعْتُ ثَلَاثَةَ أَلْفٍ
 دِرْهَمٍ وَقَدْ خَطَرَ بِنَايَ السَّفَرِ إِلَى بِلَادِ النَّاسِ وَتَدَلَّ كُنْتُ
 كَلَامَ بَعْضِ الشُّعْرَاءِ حَيْثُ قَالَ :

يَقْدِرُ الْكِدَّ تَكْتَسِبُ الْمَعَالِ وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَى سَهَرَ اللَّيَالِ
 يَغُوصُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّيَالِ وَيَحْطِي بِالسِّيَادَةِ وَالنَّوَالِ
 وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَى مِنْ غَيْرِ كِدٍّ اضْطَرَّ الْعُمَرُ فِي طَلَبِ الْمَحَالِ
 فَاسْتَأْتِ نَفْسِي إِلَى السَّفَرِ وَالْجَادَةِ فَعَزَمْتُ عَلَى السَّفَرِ
 وَاسْتَعِيذْتُ بِالْبَضَائِعِ نَفْسِيَةً فَأَخَذْتُ نَصْلِي لِلْبَحْرِ وَجَمَلْتُ
 حُمُولِي وَسَافَرْتُ مِنْ مَدِينَةٍ بَعْدَ أُخْرَى إِلَى مَدِينَةِ الْبَصْرَةِ
 فَرَأَيْتُ مَرْكَبًا عَظِيمًا فِيهِ تِجَارَةٌ وَكَبِيرٌ مَعَهُمْ بَضَائِعُ نَفْسِيَةٍ
 فَتَرَلْتُ حُمُولِي مَعَهُمْ فِي هَذَا الْمَرْكَبِ وَمِنْ بِلَادِ السَّلَامَةِ
 مِنْ مَدِينَةِ الْبَصْرَةِ وَكَمْ نَزَلَ مُسَافِرِينَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى
 مَكَانٍ وَمِنْ مَدِينَةٍ وَتَحْنَ يَبْلُغُ وَنَشْتَرِي وَنَقْرَجُ عَلَى
 بِلَادِ النَّاسِ وَقَدْ طَابَ لَنَا السَّعَادُ وَالشُّفْرُ وَأَغْنَيْنَا
 الْمَعَاشَ إِلَى أَنْ كُنَّا سَافِرِينَ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ وَارْذَابُ رَيْسِ
 الْمَرْكَبِ صَرَخَ وَصَاحَ وَرَمَى عِمَامَتَهُ وَلَطَمَ عَلَى وَجْهِهِ
 وَتَفَّ لِحْيَتَهُ وَوَقَعَ فِي بَطْنِ الْمَرْكَبِ مِنْ شِدَّةِ لُغْمِهِ

وَالْقَهْرِ. فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ جَمِيعُ التِّجَارِ وَالرُّكَّابِ. وَقَالُوا
لَهُ: يَا رَيْثُسُ مَا الْخُبْرُ. فَقَالَ لَهُمُ الرَّيْثُسُ: أَعْلَمُوا يَا
جَمَاعَةُ أَنَّنَا قَدْ تَهَنَّا بِهَذَا كَيْنَا وَخَرَجْنَا مِنَ الْبَحْرِ الَّذِي كُنَّا
فِيهِ وَدَخَلْنَا بِحَجْرٍ أَلْمُنْعَرَفِ طَرِيقَهُ وَإِذَا الْمُرْقِصُ اللَّهُ
لَنَا شَيْئًا يُخْلِصُنَا مِنْ هَذَا الْبَحْرِ هَلَكْنَا بِاجْتِمَاعِ الْأَحْمَالِ
فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُنَجِّنَا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ ثُمَّ إِنَّ الرَّيْثُسَ
قَامَ عَلَى حِيلِهِ وَصَعِدَ عَلَى الصَّارِي وَأَرَادَ أَنْ يَجْلِسَ الْقُلُوعُ
فَقَبِضَ الرَّيْثُسُ عَلَى الْمَرْكَبِ فَرَهُ هَا عَلَى الْوُغَيْرِ هَا نَا تُكْسَرُ
دَقَّتْهَا شَرَابُ جَبَلٍ عَالٍ: فَتَنَلَّ الرَّيْثُسُ مِنَ الصَّارِي وَقَالَ:
لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ
يَمْنَعَ الْمُقَدَّرَ. وَاللَّهُ إِنَّنَا قَدْ وَفَعْنَا فِي مَهْلِكِهِ عَظِيمَةٍ
وَلَمْ يَبْقَ لَنَا مِنْهَا مُخْلَصٌ وَلَا نَجَاةٌ: فَبَكَى جَمِيعُ الْمَرْكَبِ
عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَوَدَّعَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لِفِرَاقِ أَعْمَارِهِمْ وَأَنْقَطَعَ
وَجَاءَهُمْ مَالُ الْمَرْكَبِ عَلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ فَانْكَسَرُوا وَتَفَرَّقَتْ
أَلْوَانُهَا. فَغَرِقَ جَمِيعُ مَا كَانَ فِيهِ وَرَدَّعَ التِّجَارُ فِي الْبَحْرِ
فَمِنْهُمْ مَنْ غَرِقَ وَمِنْهُمْ مَنْ تَمَسَّكَ بِذَلِكَ الْجَبَلِ وَطَلَعَ
عَلَيْهَا: وَكُنْتُ أَنَا مِنْ جَمَلَةٍ مَنْ طَلَعَ ذَلِكَ الْجَبَلِ وَإِذَا

فِيهِ جَزِيرَةٌ كَبِيرَةٌ عِنْدَهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمَرَائِبِ الْمَكْسُوتَةِ -
 وَفِيهَا أَرْزَاقٌ كَثِيرَةٌ عَلَى سَاطِئِ الْبَحْرِ مِنَ الْمَرَائِبِ الَّتِي
 كَسَرَتْ وَغَرِقَ رُكَّابُهَا. وَفِيهَا شَيْءٌ كَثِيرٌ يُخَيِّرُ الْعَقْلَ
 وَالْفِكَرَ مِنَ الْمُبْتَلَعِ وَالْأَمْوَالِ الَّتِي يَلْقِيهَا الْبَحْرُ عَلَى
 جَوَانِبِهَا فَعِنْدَ ذَلِكَ طَلَعَتْ أَعْلَى تِلْكَ الْجَزِيرَةِ وَ
 مَشَيْتُ فِيهَا فَرَأَيْتُ فِي وَسْطِهَا عَيْنَ مَاءٍ عَذْبٍ بَارِئٍ خَارِجٍ
 مِنْ تَحْتِ أَقْلٍ ذَلِكَ الْجَبَلِ وَدَاخِلُ فِي أُخْرَى مِنَ الْجَانِبِ
 الثَّانِي فَعِنْدَ ذَلِكَ طَلَعَ جَمِيعُ الرُّكَّابِ عَلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ
 إِلَى الْجَزِيرَةِ وَانْتَشَرُوا فِيهَا وَقَدْ ذَهَلَتْ عَقُولُهُمْ مِنْ
 ذَلِكَ وَصَارُوا مِثْلَ الْمَجَانِينِ مِنْ كَثَرَةِ مَا رَأَوْا فِي الْجَزِيرَةِ
 مِنَ الْأَمْتَعَةِ وَالْأَمْوَالِ الَّتِي عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ وَقَدْ رَأَيْتُ فِي
 وَسْطِ تِلْكَ الْعَيْنِ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ أَصْنَافِ الْجَوَاهِرِ الْمَعَادِينِ
 وَالْيَحَاقِيقِ وَالْأَلْيَاءِ الْكِبَارِ الْمُلَوَّكِيَّةِ وَهِيَ مِثْلُ الْحَصَى
 فِي مَجَارِي الْمَاءِ فِي تِلْكَ الْغَيْطَانِ وَجَمِيعِ أَرْضِ تِلْكَ الْعَيْنِ
 تَبْرُقُ مِنْ كَثَرَةِ مَا فِيهَا مِنَ الْمَعَادِينِ وَغَيْرِهَا وَرَأَيْتُ
 شَيْئًا كَثِيرًا فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ مِنْ أَعْلَى الْعُودِ الْقِمَارِيِّ
 وَفِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ عَيْنٌ ثَانِيَةٌ مِنْ صَنْفِ الْعَيْنِ الثَّانِيَةِ وَهُوَ

يَسِيلُ مِثْلَ السَّمْعِ عَلَى جَانِبِ تِلْكَ الْعَيْنِ مِنْ شِدَّةِ حَرِّ
الشَّمْسِ وَيَمْتَدُّ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَيَطْلُعُ الْهَوَاشِشُ مِنَ الْبَحْرِ
تَبْلَعُهُ وَتَنْزِلُ بِهِ فِي الْبَحْرِ فَيَحْمِي فِي بَطُونِهَا فَتَقْدِرُ لَهُ مِنْ
أَقْوَاهَا فِي الْبَحْرِ فَيَحْمِدُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ. فَعِنْدَ ذَلِكَ
يَتَغَيَّرُ كَوْنُهُ وَأَحْوَالُهُ فَتَقْدِرُ لَهُ الْأَمْوَاحُ إِلَى جَانِبِ
الْبَحْرِ فَيَأْخُذُ السِّيَاحُونَ وَالْبَحَّارُ الَّذِينَ يَعْرِفُونَهُ
فَيَبِيعُونَهُ. وَأَمَّا الْعَتَبُ الْخَالِصُ مِنَ الْبَلَمِ فَلَمَّا
يَسِيلُ عَلَى جَانِبِ تِلْكَ الْعَيْنِ وَيَحْمَدُ بِأَرْضِهِ فَيَأْذَا
طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَسِيرُ وَيَتَقَيُّ مِنْهُ رَاحَةٌ ذَلِكَ الْوَادِ
كُلُّهُ مِثْلُ الْمُسَبِّ. وَإِذَا زَالَتْ عَنْهُ الشَّمْسُ يَحْمَدُ ذَلِكَ
الْمَكَانَ الَّذِي فِيهِ هَذَا الْعَتَبُ الْخَالِصُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ
عَلَى دُخُولِهِ وَلَا يُسْتَطِيعُ سَلُوكُهُ. فَإِنَّ الْجَبَلَ مُحِيطٌ
بِتِلْكَ الْجَزِيرَةِ وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى صُعُودِ ذَلِكَ الْجَبَلِ
وَلَمْ تَنْزَلْ دَائِرَتَيْنِ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ نَتَفَرِّحُ عَلَى مَا
خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا مِنَ الْأَذْيَاقِ وَنَحْنُ مُتَحَيِّرُونَ
فِي أَمْرِنَا وَفِيمَا نَرَاهُ وَعِنْدَنَا خَوْفٌ شَدِيدٌ. وَقَدْ
جَمَعْنَا عَلَى جَانِبِ الْجَزِيرَةِ شَيْئًا قَلِيلًا مِنَ الرِّادِ

فَصِرْنَا مُؤَيَّدَةً وَتَاكُلُ مِنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ أَكْلَةً
وَاحِدَةً وَنَحْنُ خَائِفُونَ أَنْ يَقْرَعَ الزَّادُ مِنَّا فَمُوتَ
كَمَدَّ امِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ وَكُلُّ مَنْ مَاتَ مِنَّا
نُغَسِّلُهُ وَنُكْفِنُهُ فِي ثِيَابٍ وَقَمَاشٍ مِنَ الذِّبْيِ بَطْنِ حَهْ
الْبَحْرِ عَلَى جَانِبِ الْجَزِيرَةِ حَتَّى مَاتَ مِنَّا خَلْقٌ كَثِيرٌ وَلَمْ
يَبْقَ مِنَّا إِلَّا جَمَاعَةٌ قَلِيلَةٌ فَضَعُفْنَا بِوَجْعِ الْبَطْنِ
مِنَ الْبَحْرِ وَأَقَمْنَا مَدَّةً قَلِيلَةً فَمَاتَ جَمِيعُ أَصْحَابِي
وَرَفَقَائِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ وَكُلُّ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ
نَدَفْنُهُ وَبَقِيتُ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ وَخِدِي وَبَقِيَ مَعِيَ
زَادٌ قَلِيلٌ بَعْدَ أَنْ كَانَ كَثِيرًا فَبَكَيْتُ عَلَى نَفْسِي وَ
قُلْتُ: يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ رَفَقَائِي وَكَأَنَّهُ اعْسَلُونِي وَ
دَفَنُونِي فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ - ثُمَّ
إِنِّي أَقَمْتُ مَدَّةً لَيْسِيرَةً ثُمَّ حَقَرْتُ لِنَفْسِي حُقْرَةً
هَبِيقَةً فِي جَانِبِ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ وَقُلْتُ فِي نَفْسِي إِذَا
صَبَحْتُ وَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَوْتَ قَدْ آتَانِي أَرَقُدُ فِي هَذَا
الْقَبْرِ فَأَمُوتَ فِيهِ وَبَقِيَ الرِّيحُ يُسْفِئُ الرَّمْلَ عَلَى
فَيْعَظِيْنِي وَأَصِيرُ مَدْفُونًا فِيهِ وَصِرْتُ الْيَوْمَ نَفْسِي عَلَى

قَلَّةً عَقَلِيٍّ وَخَرَجِيٍّ مِنْ بِلَادِيٍّ وَمَدِينِيٍّ وَسَفَرِيٍّ إِلَى الْبِلَادِ
بَعْدَ الَّذِي قَاسَيْتُهُ أَوَّلًا وَثَانِيًا وَثَالِثًا وَرَابِعًا وَخَامِسًا.
وَلَا سَفَرًا مِنَ الْأَسْفَارِ إِلَّا وَأَقَابِي أَهْوَالَ الدَّوْشَدِ أَيْدِ الشَّقِّ
وَأَصْعَبَ مِنَ الْأَهْوَالِ الَّتِي قَبْلَهَا. وَمَا أَصْدَقِي بِالنَّجَاةِ
وَالسَّلَامَةِ وَأَتُوبُ عَنِ السَّفَرِ فِي الْبَحْرِ وَعَنْ عَوْدِي إِلَى
وَلَسْتُ مُحْتَاجًا لِمَالٍ وَعِنْدِي شَيْءٌ كَثِيرٌ وَالَّذِي عِنْدِي
مَا يَكْفِينِي وَزِيَادَةً. ثُمَّ رَأَيْتُ تَفَلُّسًا فِي نَفْسِي وَقُلْتُ:
وَاللَّهِ لَا بَدَّ أَنْ هَذَا النَّهْرُ لَهُ أَوَّلٌ وَآخِرٌ وَلَا بَدَّ مِنْ
مَكَانٍ يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَى الْعِمَارِ. وَالرَّأْيُ السَّيِّئُ عِنْدِي
أَنِّي أَعْمَلُ لِي فُلُكًا صَغِيرًا عَلَى قَدَرٍ مَا أَجْلِسُ فِيهِ وَأَنْزَلَ
وَأَلْقِيَهُ فِي هَذَا النَّهْرِ وَأَسِيرُ بِهِ فَإِنْ وَجَدْتُ لِي
خَلَاصًا أَخْلَصْتُ وَأَنْجُو بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى. وَإِنْ لَمْ أَجِدْ
لِي مَخْلَصًا أَمُوتُ دَاخِلَ هَذَا النَّهْرِ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا
الْمَكَانِ وَصَدَّقْتُ الْحَسْرَةَ عَلَى نَفْسِي. ثُمَّ رَأَيْتُ قُبُورًا وَسَعِيَّتَ
فَجَمَعْتُ أَحْسَابًا مِنْ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ مِنْ حَسْبِ الْعُودِ الصَّيْنِيِّ
وَالْقِمَارِيِّ وَشَدَّ دُثْمَهَا عَلَى جَانِبِ الْبَحْرِ بِجِبَالٍ مِنْ جِبَالِ
الْمَرَآكِبِ الَّتِي كَثُرَتْ وَجِثَتْ بِأَلْوَابِ مُتَسَاوِيَةٍ مِنَ الْوُجُحِ

لَهَا أَكْبَرُ وَوَضَعْتُهَا فِي ذَلِكَ الْخَشَبِ وَجَعَلْتُ ذَلِكَ
الْقُلُوكَ عَلَى عَرْضِ ذَلِكَ النَّهْرِ وَأَقْلَمْتُ مِنْ عَرْضِهِ وَشَدَدْتُ
شَدُّ الطَّبِيبِ مَكِينًا - وَقَدْ أَخَذْتُ مَعِيَ مِنْ تِلْكَ الْمُعَادِينِ
وَالْمُجَاهِدِينَ وَالْأَمْوَالِ وَالْمُلُوكِ الْكَبِيرِ الَّذِي مِثْلُ
الْحَصَى وَقَيْدُكَ مِنَ الَّذِي فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ وَشَدِيدًا
مِنَ الْعُتْبَرِ الْحَامِ الْخَالِصِ الطَّيِّبِ وَوَضَعْتُ فِي ذَلِكَ
الْقُلُوكَ وَوَضَعْتُ فِيهِ جَمِيعَ مَا جَمَعْتُهُ مِنَ الْجَزِيرَةِ
وَأَخَذْتُ مَعِيَ جَمِيعَ مَا كَانَ بَاقِيًا مِنَ الزَّادِ ثُمَّ إِنِّي أَتَيْتُ
ذَلِكَ الْقُلُوكَ فِي هَذَا النَّهْرِ وَجَعَلْتُ لَهُ خَشَبَتَيْنِ عَلَى
جَنْبَيْهِ مِثْلَ الْمَجَادِيْفِ وَعَمِلْتُ يَقُولُ لِبَعْضِ الشُّعْرَاءِ -
تَرَحَّلْ عَنْ مَكَانٍ فِيهِ صَيْمٌ وَخَلَّ الدَّارُ تَعْمَى صَنْ يَنَاهَا
فَإِنَّكَ وَاجِدٌ أَرْضًا بَارِضٍ وَنَفْسُكَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا
وَلَا تَجْزَعُ لِمَجَادِيْفَةِ اللَّيْلِ كُلُّ مُصِيبَةٍ يَأْتِي أَتِيهَا هَا
وَمَنْ كَانَتْ مَنِيَّتُهُ جَارِضٍ فَلَيْسَ يَمُوتُ فِي أَرْضٍ سِوَاهَا
وَلَا يَبْعَثُ رَسُولُكَ فِي مُهَمِّمْ فَمَا لِنَفْسٍ نَاصِحَةٌ سِوَاهَا
وَسَرْتُ يَدُكَ الْقُلُوكَ فِي النَّهْرِ أَنَا مُتَفَكِّرٌ فِيهَا يَصِيرُ
إِلَيْهِ أَمْرِي - وَلَمْ أَزَلْ سَائِرًا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَدُ خُلِّ

فِيهِ النَّهْرُ تَحْتَ ذَلِكَ الْجَبَلِ وَدَخَلْتُ الْفَلَكَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ
 وَقَدْ صِرْتُ فِي ظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ تَحْتَ الْجَبَلِ - وَلَمْ يَزَلْ
 الْفَلَكَ دَاخِلًا بِي مَعَ الْمَاءِ إِلَى صِيقِ تَحْتَ الْجَبَلِ صَادَتْ
 جَوَانِبُ الْفَلَكَ تَحْتِي فِي جَوَانِبِ النَّهْرِ وَرَأْسِي يَجُلُّ فِي
 سَقْفِ النَّهْرِ وَلَمَّا قُدِّدَ عَلَيَّ أَنِّي أَعُوذُ مِنْهُ وَقَدْ لُمْتُ
 نَفْسِي عَلَى مَا فَعَلْتُهُ بِرُوحِي وَقُلْتُ: إِنْ ضَاقَ الْمَكَانُ
 عَلَيَّ لَفَلَكَ قُلْ أَنْ يُخْرِجَ مِنْهُ وَلَا يُمْكِنُ عَوْدُهُ فَأَهْلَكَ
 فِي الْمَكَانِ كَمَا أَيْلًا مُحَالَةً وَقَدْ انْطَرَحْتُ عَلَى وَجْهِهِ
 فِي الْفَلَكَ مِنْ صِيقِ النَّهْرِ - وَلَمَّا نَزَلَ سَائِرًا وَلَا أَعْلَمُ لَيْلًا
 مِنْ نَهَارٍ بِسَبَبِ الظُّلْمَةِ الَّتِي أَنَا فِيهَا تَحْتَ ذَلِكَ الْجَبَلِ
 مَعَ الْفَرَجِ وَالْحَوِي عَلَى نَفْسِي مِنَ الْهَلَاكِ وَلَمَّا زِلْ عَلَى
 هَذِهِ الْحَالَةِ سَائِرًا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ وَهُوَ يَتَسَّعُ تَارَةً وَ
 يَصْغُبُ أُخْرَى - وَلَكِنَّ الظُّلْمَةَ قَدْ أَتَعَبَتْنِي تَعَبًا شَدِيدًا
 فَاخْتَلَيْتُ مِنْهُ مِنَ النَّوْمِ مِنْ شِدَّةِ تَهْرِئِي فَمِتُّ عَلَى وَجْهِهِ
 فِي الْفَلَكَ وَلَمْ يَزَلْ سَائِرًا بِي وَأَنَا بَعْدَ مَا أَدْرِي بِكَثِيرٍ
 وَلَا قَلِيلٍ تَحْتِي اسْتَيْقَظْتُ فَوَجَدْتُ نَفْسِي فِي الشَّوْرِ
 فَفَتَحْتُ عَيْنَيَّ فَرَأَيْتُ مَكَانًا فَاسْعَادَ ذَلِكَ الْفَلَكَ مَرْبُوطَ

عَلَى جَزِيرَةٍ وَحَوْلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْهُنُودِ الْحَبَشَةِ. فَلَمَّا
 رَأَوْنِي قُتِلَتْ نَهَضُوا إِلَيَّ وَكَلَّمُونِي بِلِسَانِهِمْ فَلَمَّا اعْرِفَ
 مَا يَقُولُونَ. وَبَقِيَتْ أَظُنُّ أَنَّهُ حُكْمٌ وَأَنَّ هُنَا فِي الْمَنَامِ
 مِنْ شِدَّةِ مَا كُنْتُ فِيهِ مِنَ الضِّيقِ وَالْقَهْرِ. فَلَمَّا كَلَّمُونِي وَ
 لَمَّا عَرَفْتُ حَالِيَتَهُمْ وَلَمَّا أَرَدْتُ عَلَيْهِمْ جَوَابًا. تَفَدَّيْتُ إِلَيَّ
 دَجَلٌ مِنْهُمْ وَقَالَ لِي بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَخَانَا
 مَنْ تَكُونُ أَنْتَ وَمِنْ أَيْنَ جِئْتَ. وَمَا سَبَبُ جِيئِكَ إِلَى هَذَا
 الْمَكَانِ. وَمِنْ أَيْنَ دَخَلْتَ فِي هَذَا الْمَاءِ. وَأَيُّ بِلَادٍ دَخَلْتَ
 هَذَا الْجَبَلِ لِأَنَّنَا لَا نَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا اسْلَكَ مِنْ هُنَاكَ إِلَيْنَا
 فَقُلْتُ لَهُ: مَنْ تَكُونُونَ أَنْتُمْ وَأَيُّ أَرْضٍ هَذِهِ. فَقَالَ
 لِي: يَا أَخِي نَحْنُ أَصْحَابُ الزَّرْعِ وَالْغَيْطَانِ وَجِئْنَا لِنَسْقِيَ
 غَيْطَانَنَا وَنَرْعَى فَوْجَدًا نَاكًا نَائِمًا فِي الْفَلَكِ فَأَمْسَلَتْ أَعْيُنُ
 دَرَبَطْنَاهُ عُمْدًا فَأَحْشَى تَقَرُّمٌ عَلَى مَهْلِكٍ فَأَجِبرُ مَا سَبَبَ
 وَصُولِكَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا اللَّهُ عَلَيْكَ يَا
 سَيِّدِي ائْتَنِي بِشَيْءٍ مِنْ الطَّعَامِ فَإِنِّي جَائِعٌ وَبَعْدَ ذَلِكَ
 اسْأَلْنِي عَمَّا كُنْتُ أَسْرَعُ وَأَتَانِي يَا الطَّعَامُ فَأَكَلْتُ
 حَتَّى شَبِعْتُ وَأَرْتَحْتُ وَسَكَنَ رَوْعِي وَلَزَادَ شَبْعِي وَرُودَتْ

لِي دُرِّي. فَحَمَدْتُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى كُلِّ مَالٍ وَفِرْحَةٍ عُرِّجْتُ
 مِنْ ذَلِكَ النَّهْرِ وَوَصَّرَ لِي إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتُهُمْ بِجَمِيعِ مَا جَرَى
 لِي مِنْ ذَلِكَ إِلَى آخِرِهِ وَمَا لَقِيتُهُ فِي ذَلِكَ النَّهْرِ وَضَيْقُهُ
 ثُمَّ إِنَّهُمْ تَكَلَّمُوا مَعَ بَعْضِهِمْ وَقَالُوا لَا بَدَأْنَا خَذَاهُ
 مَعَنَا وَنَعْرِضُهُ عَلَى مَلِكِنَا الْخَبِيرَةِ بِمَا جَرَى لَهُ: قُلْتُ:
 فَآخِذْ فِي مَعَهُمْ وَحَمَلُوا مَعِيَ الْفُلَكَ بِجَمِيعِ مَا فِيهِ مِنْ
 الْمَالِ وَالنَّوَالِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْمَعَادِنِ وَالْمَصَالِحِ وَقَدْ
 أَدْخَلُونِي عَلَى مَلِكِهِمْ وَأَخْبَرُوهُ بِمَا جَرَى. فَسَلَّمَ عَلَيَّ
 وَرَحَّبَ بِي وَسَالَنِي عَنْ حَالِي وَمَا اتَّقَى لِي مِنَ الْأُمُورِ
 فَأَخْبَرْتُهُ بِجَمِيعِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَمَا لَقِيتُهُ مِنْ أَوَّلِهِ
 إِلَى آخِرِهِ. فَتَجَبَّبَ الْمَلِكُ مِنْ هَذِهِ الْحِكَايَةِ غَايَةً
 الْعَجَبَّ وَهَنَانِي بِالسَّلَامَةِ وَعِنْدَ ذَلِكَ قُمْتُ وَطَلَعْتُ
 مِنْ ذَلِكَ الْفُلِكَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْمَعَادِنِ وَالْجَوَاهِرِ الْغُورِ
 وَالْعَنَابِ الْحَمَامِ وَأَهْدَيْتُهُ إِلَى الْمَلِكِ فَقَبِلَهُ مَبْتَغًى وَ
 أَكْرَمَنِي أَكْرَامًا زَائِدًا وَأَنْزَلَنِي مَكَانٍ عِنْدَهُ وَقَدْ
 صَاحَبْتُ أَخْيَارَهُمْ وَأَعَزُّونِي مَعْرَةً عَظِيمَةً وَصَوَّرْتُ
 لَا أَفَارِقُ دَارَ الْمَلِكِ وَصَادَ الْوَارِدُونَ إِلَى تِلْكَ الْجَزِيرَةِ

يَسْأَلُونَنِي عَنْ أُمُورِ بِلَادِي فَأَخْبِرُهُمْ بِهَا. وَكَذَلِكَ
أَسْأَلُهُمْ عَنْ أُمُورِ بِلَادِهِمْ فَيُخْبِرُونَنِي بِهَا إِلَى أَنْ
سَأَلَنِي مَلِكُهُمْ يَوْمًا مِنَ الْيَوْمِ عَنْ أَحْوَالِ حُلُمِ الْخَلِيفَةِ
فِي بِلَادِ مَدْيَنَةَ بَعْدَ إِدْفِ أَخْبَرْتُهُ بِعَدْلِهِ فِي أَحْكَامِهِ
فَتَعَجَّبَ مِنْ أُمُورِهِ وَقَالَ لِي: وَاللَّهِ إِنَّ الْخَلِيفَةَ لَهُ أُمُورٌ
عَقْلِيَّةٌ وَأَحْوَالٌ مُرْصِيَّةٌ وَأَنْتَ قَدْ حَبَّبْتَنِي فِيهِ وَمُرَادِي
أَنْ أَجْهَنَ لَهُ هُدًى وَارْسَلَهَا مَعَكَ إِلَيْهِ: فَقُلْتُ: سَمِعْنَا
وَطَاعَةٌ يَا مَوْلَانَا أَوْصِلْهَا إِلَيْهِ وَأَخْبِرْهُ أَنَّكَ مُحِبٌّ صَادِقٌ
وَلَمْ أَزَلْ مُقِيمًا عِنْدَ ذَلِكَ الْمَلِكِ وَأَنَا فِي غَايَةِ الْعِزِّ
وَالْإِكْرَامِ وَحُسْنِ مَعِيشَةٍ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ إِلَى أَنْ كُنْتُ
بِجَالِسِ أَيْوَمٍ مِنَ الْيَوْمِ فِي دَارِ الْمَلِكِ فَمِيعْتُ بِمَخْبَرِ جَمَاعَةٍ
مِنْ بَلَدِ الْمَدْيَنَةِ أَنَّهُمْ جَهَنُّ وَالْهَمُّ مُرَكَّبٌ يُرِيدُونَ السَّفَرَ
فِيهِ إِلَى نَوَاحِي مَدْيَنَةِ الْبَصْرَةِ. فَقُلْتُ فِي نَفْسِي لَيْسَ لِي
أَوْفَقٌ مِنَ السَّفَرِ مَعَ هَؤُلَاءِ الْجَمَاعَةِ. فَأَسْرَعْتُ مِنْ
وَقْتِي وَسَاعَتِي وَقِيلَتْ يَدُ ذَلِكَ الْمَلِكِ وَأَعْلَمْتُهُ بِأَنْ
مُرَادِي السَّفَرُ مَعَ الْجَمَاعَةِ فِي الْمُرَكَّبِ الَّذِي جَهَنُّ دُهُ
لَا نِي أَشْتَقْتُ إِلَى أَهْلِي وَبِلَادِي. فَقَالَ لِي الْمَلِكُ الرَّأْيُ

لَكَ فَإِنْ شِئْتَ الْإِحَامَةَ عِنْدَنَا فَعَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ
وَقَدْ حَصَلَ لَنَا أُنْسُكَ. فَقُلْتُ: وَاللَّهِ يَا سَيِّدِي قَدْ غَمَّرْتُ بِي
بِحَبْلِكَ وَاحْسَانِكَ وَلَكِنِّي قَدْ اسْتَقْتُ إِلَى أَهْلِي وَبِلَادِي
وَعِيَالِي فَلَمَّا سَمِعَ كَلَامِي أَحْضَرَ التَّجَارِ الَّذِينَ جَهَّزُوا الْمَرْكَبَ
وَأَوْصَاهُمْ عَلَيَّ وَقَدْ وَهَبَ لِي شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ عِنْدِهِ وَ
دَفَعَ عَنِّي أَجْرَةَ الْمَرْكَبِ وَأَرْسَلَ مَعِيَ هَدِيَّةً عَظِيمَةً إِلَى
الْخَلِيفَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ بِمَدِينَةِ بَغْدَادَ ثُمَّ رَأَيْتُ
وَدَّعْتُ جَمِيعَ أَصْحَابِي الَّذِينَ كُنْتُ أَتَرُدُّ دُعَايَهُمْ - ثُمَّ
نَزَلْتُ ذَلِكَ الْمَرْكَبَ مَعَ التَّجَارِ وَسَوَّفْنَا وَقَدْ طَابَ لَنَا
الرَّيْجُ وَالشَّفَرُ وَنَحْنُ مُتَوَكِّلُونَ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ
تَعَالَى. وَلَمْ نَزَلْ مُسَافِرِينَ مِنْ بَحْرِ الْبَحْرِ وَمِنْ
جَزِيرَةٍ إِلَى جَزِيرَةٍ إِلَى أَنْ وَصَلْنَا بِالسَّلَامَةِ بِإِذْنِ اللَّهِ
تَعَالَى إِلَى مَدِينَةِ الْبَصْرَةِ فَطَلَعْتُ مِنَ الْمَرْكَبِ وَلَمْ
أَزَلْ مُقِيمًا بِأَرْضِ الْبَصْرَةِ أَيَّامًا مَالِيًا حَتَّى جَهَّزْتُ نَفْسِي
وَحَمَلْتُ حُمُولِي وَتَوَجَّهْتُ إِلَى مَدِينَةِ بَغْدَادَ أَرِ السَّلَامِ
فَدَخَلْتُ عَلَى الْخَلِيفَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ وَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ
تِلْكَ الْهَدِيَّةَ وَأَخْبَرْتُهُ بِجَمِيعِ أُمُورِي وَأَمْتِعَتِي وَدَخَلْتُ

حَارَتِي وَجَلَاءَ فِي أَهْلِي وَأَصْحَابِي وَفَرَّقْتُ الْهَدَايَا عَلَى جَمِيعِ أَهْلِي
وَتَصَدَّقْتُ وَوَهَبْتُ - وَبَعْدَ مُدَّةٍ مِنَ التَّرَمَّانِ أُرْسِلَ إِلَيَّ
الْخَلِيفَةُ فَبَسَّالَتْنِي عَنْ سَبَبِ تِلْكَ الْهَدَايَةِ وَمِنْ أَيْنَ هِيَ
فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ لَا أَعْرِفُ لِلْمَدِينَةِ الَّتِي
هِيَ مِنْهَا أَسْمَاءٌ وَلَا طَرِيقًا وَلَكِنْ لَمَّا غَرِقَ الْمَرْكَبُ الَّذِي
كُنْتُ فِيهِ طَلَعْتُ عَلَى جَزِيرَةٍ فَقَدْ صَنَعْتُ لِي فُلُكًا وَنَزَلْتُ
فِيهِ فِي نَهْرٍ كَانَ فِي وَسْطِ جَزِيرَةٍ - وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا جَرَى لِي
فِي السَّفَرَةِ وَكَيْفَ كَانَ خَلَاصِي مِنْ ذَلِكَ النَّهْرِ إِلَى تِلْكَ
الْمَدِينَةِ وَبِمَا جَرَى لِي فِيهَا وَبِسَبَبِ إِرْسَالِي الْهَدَايَةَ
فَتَجَعَّبَ الْخَلِيفَةُ مِنْ ذَلِكَ غَايَةَ الْعَجَبِ وَأَمَرَ الْمُؤَرِّخِينَ أَنْ
يَكْتُبُوا أَحْكَامِي وَيَجْعَلُوا فِي خَزَائِنِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا كُلُّ
مَنْ رَأَاهَا :

حِكَايَةُ عَابِدٍ

زَعَمُوا أَنَّ بَعْضَ الْعَبَادِ كَانَ يَتَعَبَّدُ فِي بَعْضِ الْجِبَالِ -
وَكَانَ يَأْوِي إِلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ نَوْحًا مِنَ الْحُمَامِ - وَكَانَ ذَلِكَ
الْعَابِدُ قَدْ قَسَمَ قُوَّتَهُ يُصْفَقِينَ - وَجَعَلَ نِصْفَهُ لِنَفْسِهِ -

وَرَضَفَهُ لِذَلِكَ التَّرَفُّحِ الْحَمَامِ - وَدَعَا الْعَايِدُ لَهُمَا كَثْرَةَ النَّسْلِ
فَكَثُرَ نَسْلُهُمَا - وَلَمْ يَكُنْ الْحَمَامُ يَلْوِي سَوَى الْجَبَلِ الَّذِي
فِيهِ الْعَايِدُ - وَكَانَ السَّبَبُ فِي اجْتِمَاعِ الْحَمَامِ بِالْعَايِدِ كَثْرَةُ
نَسَبِهِمُ الْحَمَامِ - وَقِيلَ : إِنَّ الْحَمَامَ يَقُولُ فِي تَسْبِيحِهِ :
سُبْحَانَ خَالِقِ الْخَلْقِ - وَقَائِمِ الرِّزْقِ - وَبَائِي السَّمَوَاتِ :
وَبَاسِطِ الْأَرْضِينَ ، وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ التَّرَوُّجُ الْحَمَامُ فِي
أَرْغَدٍ عَيْشٍ هُوَ وَنَسْلُهُ حَتَّى مَاتَ الْعَايِدُ - فَتَشَتَّتَ
شَمْلُ الْحَمَامِ وَتَفَتَّقَ فِي الْمُدُنِ وَالْقُرَى وَالْجِبَالِ ،

حِكَايَةُ الرَّاعِي الْعَايِدِ

ذَكَرُوا أَنَّكَ كَانَ فِي بَعْضِ الْجِبَالِ رَجُلٌ مِنَ الرُّعَاةِ وَكَانَ
صَالِحَ دِينٍ وَعَقْلٍ وَعِفَّةٍ - وَكَانَ لَهُ أَعْنَامٌ يَدْعَاهَا وَيَنْفَعُ
بِأَلْبَانِهَا وَأَصْوَانِهَا وَكَانَ ذَلِكَ الْجَبَلُ الَّذِي يَأْوِي إِلَيْهِ
الرَّاعِي كَثِيرًا الْأَشْيَاءُ : إِبْرُؤَ الْمَرْعَى وَالسَّمَاعِجِ - وَلَمْ يَكُنْ
رَيْثُكَ الْوَسْوَشُ قُدْرَةً عَلَى الرَّاعِي وَلَا عَلَى غَنَمِهِ - وَلَمْ
يَزَلْ مُقِيمًا فِي الْجَبَلِ مُطْمَئِنًّا لِأَيِّمِهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ
الدُّنْيَا - لِسَعَادَةٍ بِهِ وَلَا تَبَالٍ عَلَيْهِ عَلَى صَلَاتِهِ وَعِبَادَتِهِ

فَقَدَّرَ اللَّهُ أَنَّهُ مُرَضٌّ مَرَضًا شَدِيدًا فَدَخَلَ الْعَابِدُ فِي
كَهْفِ الْجَبَلِ وَصَارَتْ الْغَنَمُ تُخْرِجُ بِالنَّهَارِ إِلَى مَرْعَاهَا وَ
تَأْوِي بِاللَّيْلِ إِلَى الْكَهْفِ وَكَانَ قَرِيبًا مِنَ الرَّاعِي قَرِيبَةً
فِيهَا رَجُلٌ مِنَ الصَّالِحِينَ لَمْ يَعْلَمْ بِمَكَانِهِ فَرَأَى فِي
هَمَامِهِ كَانَ قَائِلًا يَقُولُ لَهُ: إِنَّ بِالْقُرْبِ مِنْكَ فِي
مَكَانٍ كَذَا أَنْجِلًا صَالِحًا. فَاذْهَبْ إِلَيْهِ وَكُنْ تَحْتَ طَاعَةِ
أَمْرِهِ. فَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ تَوَجَّهَ نَحْوَهُ سَائِرًا فَلَمَّا
اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ انْتَهَى إِلَى شَجَرَةٍ عِنْدَ هَاعَيْنِ مَاءٍ تَجْرِي
فَاسْتَرَا حَ هُنَاكَ وَجَلَسَ فِي ظِلِّ تِلْكَ الشَّجَرَةِ. فَيَاذَاهُو
بِوَحُوشٍ وَطُيُورٍ أَتَتْ إِلَى تِلْكَ الْعَيْنِ لِشُرْبِ مِنْهَا.
فَلَمَّا رَأَتْ الْعَابِدَ جَالِسًا نَفَرَتْ مِنْهُ وَرَجَعَتْ وَشَرَدَتْ
فَقَالَ الْعَابِدُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. إِنِّي لَمَّا اسْتَرَحْتُ
هَذَا الْأَصْرَ رَأَيْتُ عَلَى هَذِهِ الْوُحُوشِ وَالطُّيُورِ فَقَامَ وَقَالَ
مَعَاتِبًا لِنَفْسِهِ: لَقَدْ أَصْرَّ بِهَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ فِي هَذَا
الْيَوْمِ جُلُوسِي فِي هَذَا الْمَكَانِ. فَمَا الْعُنْدُ رَبِّئِنِّي وَبَيْنَ
خَالِقِي وَخَالِقِ هَذِهِ الطُّيُورِ وَالْوُحُوشِ قَائِي كُنْتُ سَبَبًا
لِشُرُودِهَا عَنْ شُرْبِهَا وَعَنْ رِزْقِهَا وَمَرْعَاهَا. فَوَالْجَلَلِ

وَمِنْ رَبِّي يَوْمَ يَقْتَصِلُ لِلشَّاةِ الْجَمَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرَنَاءِ: ثُمَّ

بَكَى وَأَسْتَدَّ يَقُولُ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ

أَمَا وَاللَّهِ لَوْ عَلِمَ الْأَنَامُ لَمَخْلُقُوا الْمَاغْفِلُوا وَنَامُوا

فَمَوْتُ ثُمَّ بَعَثَ ثُمَّ حَشَرَهُ

وَحِينَ إِذَا انْتَهَيْتُمْ أَوْ أَمْرًا كَأَهْلِ الْكَهْفِ إِيقَاطُ عِيَامٍ

ثُمَّ بَكَى عَلَى جُلُوسِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ عِنْدَ الْعَيْنِ دَ

مَنْعِهِ الطُّيُورُ وَالْوُحُوشُ مِنْ شُرْبِهَا. وَفِي سَائِحَتَا عَلَى وَجْهِهِ

حَتَّى أَتَى إِلَى الرَّاعِي فَدَخَلَ إِلَيْهِ وَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ فَرَجَدَ

عَلَيْهِ السَّلَامَ وَعَانَقَهُ وَبَكَى. فَقَالَ لَهُ الرَّاعِي: مَا الَّذِي

أَتَى بِكَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ الَّذِي لَمْ يَدْخُلْهُ أَحَدٌ مِنْ

النَّاسِ عَلَى فَقَالَ لَهُ الْعَابِدُ: إِنِّي رَأَيْتُ فِي مَنَاحِي مِنْ

يُصِفُ لِي مَكَانِي وَيَا مَرُفِي أَنْ أَسِيرَ إِلَيْكَ وَأَسْلَمَ عَلَيْكَ

فَأَتَيْتُكَ مُتَمَثِّلًا لَهَا أُمِرْتُ بِهِ. فَقَبَّلَهُ الرَّاعِي وَطَابَتْ

نَفْسُهُ بِصُحْبَتِهِ وَجَلَسَ مَعَهُ فِي الْجَبَلِ يَعْبُدُ أَنْ اللَّهَ

فِي ذَلِكَ الْغَارِ فَحَسَدَتْ عِيَادَتُهَا وَلَحْمُهَا لَاحِظًا فِي ذَلِكَ

الْمَكَانِ يَعْبُدُ أَنْ رَبُّهَا وَيَتَّقُوهُ مِنْ الْحُومِ الْغَنَمِ وَ

الْبَاقِيهَا مَجْتَرِ دِينَ السَّالِ وَالْبَتِينِ إِلَى أَنْ أَتَاهُمَا الْيَقِينُ

وَهَذَا أَخْرَجَهُ يَتِيهِمَا.

فِي جُودِ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا يُخَوَّلُ فِي الْجُودِ وَالْكَرَمِ مَا حَكَاهُ مَرْوَانُ
ابْنُ أَبِي حَفْصَةَ الشَّاعِرِ قَالَ أَخْبَرَنِي مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ وَهُوَ
يَوْمَئِذٍ مُتَوَلِّ بِلَادَ الْيَمَنِ أَنَّ الْمَنْصُورَ وَجَّهَ فِي طَلَبِي وَ
جَعَلَ لِي مَنْ يُجِيبُنِي إِلَيْهِ مَا لَزِمَ (قَالَ) فَاصْطَرْتُ لِي شِدَّةً
الطَّلَبِ إِلَى إِنْ تَعَرَّضْتُ لِلشَّمْسِ حَتَّى تَوَحَّشَتْ وَتُحْجَى وَ
خَفَّتْ عَارِضِي وَلَيْسَتْ بِجَبَّةٍ صُوفٍ وَرَكِيذٍ حُمَلَاءَ
خَرَجْتُ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْبَادِيَةِ لِأَقِيمَ بِهَا (قَالَ) فَلَمَّا
خَرَجْتُ مِنْ بَابِ حَرْبٍ وَهُوَ أَحَدُ أَبْوَابِ بَغْدَادِ تَبَعَنِي
أَسْوَدٌ مُقَلَّدٌ بِسَيْفٍ حَتَّى إِذَا غَبِثَ عَنِ الْحَرَسِ قَبِضَ عَلَيَّ
خَطَامِ الْجَمَلِ فَأَنَازَهُ وَقَبِضَ عَلَى يَدِي وَتَقَلَّتْ لَهُ وَمَا
بِكَ : قَالَ : أَنْتَ طَلَبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقُلْتُ : وَمَنْ أَنَا
حَتَّى أَطْلَبَ : فَقَالَ : أَنْتَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ . تَقَلَّتْ لَهُ : يَا
هَذَا اتَّقِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَيُّنَا أَنَا مِنْ مَعْنٍ . فَقَالَ : دَعُ هَذَا
فَأَيُّنَا لَأَعْرِفَ بِكَ مِنْكَ . فَلَمَّا رَأَيْتُ مِنْهُ الْجِدَّةَ قُلْتُ لَهُ :

هَذَا اِعْقَدُ جَوْهَرٍ فَقَدْ حَمَلْتَهُ مَعِيَ بِأَضْعَافٍ مَلِيصَلَةٍ
الْمَنْصُورُ لِمَنْ يَحْيِيهِ عَنِّي. فَخَذُّهُ وَلَا تَكُنْ سَبَبَ السَّفَكِ دَرَمِي
قَالَ: هَاتِيهِ. فَأَخْرَجَتْهُ إِلَيْهِ فَنَظَرَ فِيهِ سَاعَةً وَقَالَ: صَلَّقْتُ
فِي قِيَمَتِهِ وَلَسْتُ قَابِلَهُ حَتَّى اسْقَلَى عَنْ شَيْءٍ فَإِنْ صَلَّقْتَنِي
أَطْلَقْتُكَ. فَخَلَّتْ وَقُلْ. قَالَ إِنَّ النَّاسَ قَدْ وَصَفُوكَ بِالْجُودِ
فَأَخْبِرْنِي هَلْ وَهَبْتَ مَا لَكَ كُلَّهُ. قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَبَصِفْهُ.
قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَتَلْكَ. قُلْتُ: لَا. حَتَّى بَلَغَ الْعُشْرَ
فَأَسْتَحْيَيْتُ وَقُلْتُ: أَظُنُّ أَنِّي قَدْ فَعَلْتُ هَذَا. قَالَ: يَمَّا
ذَاكَ بَعْظِيمٍ وَأَنَا رَجُلٌ وَرِثْتِي مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ كُلَّ
شَهْرِ عَشْرُونَ دِرْهَمًا وَهَذَا الْجَوْهَرُ قِيَمَتُهُ الْوُفْ
دَنَانِيرٌ قَدْ وَهَبْتَهُ لَكَ وَوَهَبْتُكَ لِنَفْسِكَ وَلِجُودِكَ
الْمَأْمُورِ بَيْنَ النَّاسِ. وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَنْ هُوَ
أَجُودُ مِنْكَ فَلَا يُعْجِبُكَ نَفْسُكَ وَلَتَقِرَّ بَعْدَ هَذَا أَكُلَّ
جُودٍ فَعَلْتَهُ وَلَا تَتَوَقَّفْ عَنْ مَكْرُمَةٍ. ثُمَّ رَمَى الْعِقْدَ
فِي حِجْرِي وَتَرَكَ خِطَامَ الْجَمَلِ وَوَلَّى مُتَصَرِّفًا. فَقُلْتُ
يَا هَذَا الْقَدَّ فَضَحْتَنِي وَلَسَفَكَ دَرَمِي عَلَى أَهْوَنُ مِمَّا فَعَلْتَ
فَخَذُّ مَا دَفَعْتَهُ لَكَ فَإِنِّي غَنِيٌّ عَنْهُ. فَضَحِكَ وَقَالَ: أَرَدْتَ

أَنْ تَكُونَ بَيْعِي فِي مَقَالِي هَذَا - وَاللَّهِ لَا أَخَذْتُ مَالًا وَلَا أَخَذْتُ
بِالْمَعْرُوفِ ثَمَنًا أَبَدًا - وَمَضَى لِسَبِيلِهِ - ثُمَّ طَلَبْتُهُ
ثَمَنًا أَبَدًا - وَمَضَى لِسَبِيلِهِ - ثُمَّ طَلَبْتُهُ بَعْدَ أَنْ أَمِنْتُ
وَبَدَلْتُ لِمَنْ يَخْبِي بِهِ مَا مَاءَ فَمَا عَرَفْتُ لَهُ خَيْرًا -
(مَمَرَاتِ الْأَوَّلِ لِلْحَمَوِيِّ)

الْأَصْمَعِيُّ وَرَجُلٌ سَخِيٌّ

حَكَى الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: قَعَدْتُ فِي بَعْضِ أَيَّامِ رَجُلًا كُنْتُ
أَتِيهِ أَحْيَانًا كَثِيرَةً لِكُرْمِهَا وَجُودِمْ: فَلَمَّا أَتَيْتُ دَارَهُ وَجَدْتُ
عَلَى بَابِهِ بَعَا بَا فَمَنْعَنِي مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهِ وَقَالَ لِي: يَا وَاللَّهِ
يَا أَصْمَعِيُّ مَا أَوْفَعَنِي عَلَى بَابِهِ لَا مَنَعَ مِثْلَكَ الْكَلِمَةَ حَالَهُ
وَقُصُورِي دَارَهُ وَمَا هُوَ فِيكَ مِنَ الصِّيقِ - فَقُلْتُ لَهُ: أَرِيدُ
أَنْ أَكْتُبَ لَهُ رُقْعَةً أَوْصِلُهَا إِلَيْهِ - فَقَالَ - سَمْعًا وَ
طَاعَةً - فَأَخْضَرَ لِي قَرطًا سَاوَقْلَمًا وَدَاةً فَأَخَذْتُ
وَكُتِبَتْ لَهُ شِعْرًا:

إِذَا كَانَ الْكَرِيمُ لَهُ حِجَابٌ فَمَا فَضْلُ الْكَرِيمِ عَلَى الْبَيْتِ
ثُمَّ طَوَيْتُ الرُّقْعَةَ وَدَفَعْتُهَا إِلَى الْحَاجِبِ فَقُلْتُ لَهُ:
أَوْصِلْ هَذِهِ الرُّقْعَةَ إِلَيْهِ - فَقَعَلَ وَمَضَى بِالرُّقْعَةِ

قَلِيلًا ثُمَّ عَادَ إِلَى الرُّقْعَةِ عَيْنَهَا وَقَدْ كَتَبَ تَحْتَ
شِعْرِي جَوَابًا شَعْرًا:

إِذَا كَانَ الْكَرِيمُ قَلِيلَ مَالٍ تَجَبَّ بِالْحِجَابِ عَنِ الْغَرِيمِ
وَمَعَ الرُّقْعَةِ صُرَّةٌ فِيهَا خَمْسُمِائَةٍ دِينَارٍ فَتَجَبَّتُ
مِنْ سَخَائِهِ مَعَ قَلَّةِ مَا بِيَدِهِ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي وَاللَّهِ لَا تُخْفَنَ
هَارُونَ الرَّسِيدُ بِهَذَا الْخَبَرِ فَأُطْلِقْتُ حَتَّى أَتَيْتُ
قَصْرَ الْخِلَافَةِ فَاسْتَأْذَنْتُ دَخَلْتُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ
بِالْخِلَافَةِ - فَلَمَّا رَأَيْتَنِي قَالَ لِي مِنْ أَيْنَ يَا أَصْحَبِي قُلْتُ
مِنْ عِنْدِ رَجُلٍ مِنْ أَكْبَرِ الْأَحْيَاءِ بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ -
قَالَ: وَمَنْ هُوَ - قُلْتُ نَعْتُ لَهُ الرُّقْعَةَ وَالصُّرَّةَ وَسَرَدْتُ
عَلَيْهِ الْخَبَرَ فَلَمَّا رَأَى الصُّرَّةَ قَالَ: هَذِهِ مِنْ بَيْتِ
مَالِي وَلَا يَدَّ لِي مِنَ الرَّجُلِ - فَقُلْتُ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
لِي أَسْتَحْيِي أَنْ أَكُونَ سَبَبَ رَوْعِهِ بِإِذْنِكَ إِلَيْهِ - فَقَالَ:
لَا يُغْنِيكَ ذَلِكَ ثُمَّ أَلْفَقْتُ إِلَى بَعْضِ خَاصِّتِهِ وَقَالَ لَهُ:
إِمْنُ صَحِ الْأَصْحَبِيِّ فَإِذَا أَرَاكَ دَارًا فَادْخُلْ وَقُلْ لِصَاحِبِهِ:
أَجَبْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَيْسَ كُنْتُ دَعَاؤُكَ لَكَ بِلَطَافَةٍ مِنْ غَيْرِ
أَنْ تُزِيلَ عَجَبَهُ - قَالَ الْأَصْحَبِيُّ: فَمَضَيْنَا وَدَعَوْنَا الرَّجُلَ فَجَاءَ

وَدَخَلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَسَلَّمَ بِالْخِلَافَةِ. فَقَالَ لَهُ
 هَارُونُ الرَّسِيدُ أَلَسْتَ الَّذِي وَقَفْتَ لَنَا بِالْأَمْسِ وَ
 تَشْكُوتَ لَنَا رِقَّةَ حَالِكَ فِي صَنْيَعِ سِلْ يَدٍ مِنَ الْإِحْتِيَاجِ
 فَرَحِمْنَاكَ وَوَهَبْنَا لَكَ هَذِهِ الصَّرْفَةَ لِمُصْلِحِ بِهَا حَالِكَ
 وَقَدْ قَصَدَ لَكَ الْأَمَمُ بَيْتَ مِنَ الشَّعْرِ قَدْ قَعَّتْهَا لَهُ.
 فَقَالَ: تَعْمَدُ يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ بَتُّ فِي مَا شَكُوتُهُ
 لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ رِقَّةِ حَالِي وَشِدَّةِ احْتِيَاجِي وَلَكِنِّي
 اسْتَحْيَيْتُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ أُعِيدَ قَاصِدِي إِلَيْكُمْ أَعَادِي
 لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ هَارُونُ الرَّسِيدُ: لِلَّهِ دَرْ بَطْنِ
 تَاكَ فَمَا وَلَدَتْ الْعَرَبُ أَكْرَمَ مِثْلِكَ. ثَعْبًا لِعِزِّكُمْ
 يَخْلَعُ عَلَيْهِ وَجَعَلَهُ مِنْ خَاصَّتِهِمْ

الْحَيَّةُ وَالْإِنْسَانُ

ذَكَرْنَا أَنَّ وَاحِدًا مِنَ الْأَكْيَاسِ طَلَبَ الْعَزْلَ عَنْ النَّاسِ
 فَلَزِمَ انْقِطَاعَهُ وَانْقِطَعَ عَنِ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ. وَاسْتَعْلَ
 لِإِقَامَةِ أَوْدِهِ بِالزَّرْدَاعَةِ. وَالْعَزْلُ فِي ذَيْلِ جَبَلٍ وَصَاحِبُ
 حَيَّةٍ كَانَتْ تَأْسُسُ إِلَيْهِ بِكَلَامِهِ. فَقَاتَلَ مِنْ فَضَلَاتِ

طَعَامِهِ فَتَرَقَّتْ بَيْنَهُمَا الْمُعَاهَدَةُ إِلَى أَنْ بَلَغَتْ إِلَى
 الْمُعَاقَدَةِ - بِأَنْ تَكُونَ صِلَادَةً خَالِيَةً عَنِ الْمُعَاقَدَةِ
 وَلَا تَكُونَ كَصُوبَةِ ابْنَاءِ الرَّفَاقِ - تَكْرُعُ مِنَ الْغَدْرِ فِي
 غَدْرَانٍ - وَلَا مَشُوبَةٍ بِتِفَاقٍ - وَلَا مَدْخُولَةٍ بِرِثَاءٍ وَ
 شِقَاقٍ وَأَنْ تَعْقِدَ بَيْنَهُمَا الْمَوَدَّةُ وَالْإِحَاءُ فِي حَالَتِي
 الشَّدَةِ وَالرَّخَاءِ فَمَرَّ أَعْلَى هَذِهِ أَمْلَةٌ وَكُلُّ حَافِظٍ عَهْدٍ
 مَرَّاعٍ صَحِيحَةٍ وَوُدَّةٍ - وَكَانَ الرَّجُلُ إِذْ أَعْنَتْ لَهُ قَضِيَّةٌ
 عَرَضَهَا عَلَى الْحَيَّةِ وَاسْتَشَارَهَا وَآخَذَ أَخْبَارَهَا - وَخَرَجَ
 هِيَ إِلَيْهِ - وَتَرَامَى عَلَى رِجْلَيْهِ - فَعَمِيَ بَعْضُ الْيَامِ وَعَامٍ
 مِنَ الْأَعْوَامِ - وَقَعَ بَرْدٌ شَدِيدٌ - وَتَلَجَّ وَجَلِيدٌ - فَوَاوَى
 الْحَيَّةُ وَقَدْ سَقَطَتْ قَوَاهَا - وَجَمَدَتْ أَعْضَاهَا - وَوَقَعَتْ
 فِي شَرِّ حَالٍ - وَبَرْدٌ وَوَبَالٍ - فَحَمَلَتْهُ الشَّفَقَةُ وَالصَّدَاقَةُ
 وَالْعَهْدُ الَّذِي أَحْكَمَا وَثَاقَهُ عَلَى أَنْ أَوَاهَا وَحَمَلَهَا فِي
 مَخْلَافَةِ جِمَارِهِ وَأَدْنَاهَا وَوَضَعَ الْمَخْلَافَةَ فِي رَاسِ الْبَهِيمِ
 وَتَوَجَّهَ لِيَصْرُورَةَ ذَلِكَ الْفَهِيمِ فَحَسَّتِ الْحَيَّةُ بِنَفْسِ ابْنِ
 زِيَادٍ وَفَحَرَ لَكَ عَرَقُ الْعَدَاوَةِ وَإِنْ الْقَدِيمُ رَعَادٌ - وَفَعَلَ وَخَبَّتْهَا
 خَاصِيَّتُهُ الْمَأْوُفَةُ - وَلَعِبَ سَمُّهَا سُمِّيَّتَهُ الْمَعْرُوفَةَ

مُتَّبِعًا حَدِيثَهُ. حَرَامٌ عَلَى النَّفْسِ الْخَبِيثَةِ أَنْ تَخْرُجَ
 مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى تُسَمَّى إِلَى هُنَّ أَحْسَنَ إِلَيْهَا. فَخَصَّتِ الْحَيَّةُ
 شَفَةَ الْحِمَارِ وَبَرَدَ مَكَانُهُ مِنْ حَرِّهَا. وَهَرَبَتْ الْحَيَّةُ
 إِلَى جُحْرِهَا. وَإِنَّمَا أَوْرَدْتُ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلُمُوا يَا ذَوِي
 الْأَفْضَالِ أَنَّ مَنْ صَحِبَ الْأَشْرَارَ وَدَعَبَ فِي مَوَدَّةِ الْفَجَّارِ
 لَا يَأْمَنُ الْعِثَارَ. وَلَا يَسْلَمُ مِنَ الْإِنْكَادِ وَالْبَوَارِ.
 (فَإِكْفِهِ الْخُلَفَاءُ لِأَبْنِ عَرَبٍ)

كِسْرَى وَالْمُتَحَاكِمَانِ

حُكِيَ أَنَّ الْمَلِكَ كِسْرَى كَانَ أَعْدَلَ الْمُلُوكِ قَبْلَ:
 إِنَّ رَجُلًا اشْتَرَى دَارَ مِنْ رَجُلٍ آخَرَ فَوَجَدَ الْمُشْتَرَى
 فِيهَا كَنْزًا فَمَضَى إِلَى الْبَائِعِ: وَأَخْبَرَهُ بِهِ فَقَالَ لَهُ الْبَائِعُ:
 إِنَّمَا يُعْطَاكَ دَارٌ إِلَّا أَعْرِفْ فِيهَا كَنْزًا وَإِنْ كَانَ فِيهَا كَنْزٌ
 فَعَوَّلَكَ. فَقَالَ الْمُشْتَرَى: لَا بَدَأَ أَنْ تَأْخُذَهُ فَإِنَّهُ لَيْسَ
 دَاخِلًا فِيهَا اشْتَرَيْتُ. فَقَالَ لِجَدِّهِ بَيْنَهُمَا فَتَحَاكَمَا
 إِلَى الْمَلِكَ كِسْرَى. فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَذَكَرَ لَهُ
 أَمْرَ الْكَنْزِ أَطْرَقَ عَلَيْهِ سُلَيْمَانُ فَقَالَ لَهُمَا: هَلْ لَكُمَا أَوْلَادٌ؟

فَقَالَا: نَحَفْ. فَقَالَ كِسْرَى لهُمَا: أَنْفِقَا ذَلِكَ الْكَثْرَتِي
مَصْلِحِهِمْ - فَفَعَلَا ذَلِكَ: (للقليوبي)

الْمَرْجُوسِيَّانِ وَالنَّارِ

حُكِيَ أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ مَرْجُوسِيَّانِ يُعْبَدَانِ
النَّارَ. فَقَالَ الْأَصْغَرُ لِأَخِيهِ الْأَكْبَرِ: أَيُّهَا الْإِخْوَانُ أَتَكْعَبُدَانِ
هَذِهِ النَّارَ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ سَنَةً وَأَنَا عَبْدُ تَهْلُخُمَا وَثَلَاثِينَ
سَنَةً فَتَعَالَي نَنْظُرُ هَلْ تُحْرِقُنَا كَمَا تُحْرِقُ غَيْرَنَا مِنْكُمْ
يَعْبُدُهَا: فَإِنْ لَمْ تُحْرِقْنَا عَبْدْنَا هَا وَالْآفَلَاةُ فَأَوْقَدْ نَارًا
ثُمَّ قَالَ الْأَصْغَرُ لِأَخِيهِ: هَلْ تَضَعُ يَدَكَ قَبْلِي أَمْ أَنَا
قَبْلُكَ. فَقَالَ لَهُ: ضَعِ أَنْتَ قَوْضِعَ الْأَصْغَرِ يَدَهُ فَحَرَقَتْ
إِصْبَعَهُ فَتَزَعَّ يَدَهُ وَقَالَ: أَيْهَ اعْبُدُكَ كَذَا أَوْ كَذَا سَنَةً
وَأَنْتَ تُؤْذِيَنِي ثُمَّ قَالَ: يَا أَخِي تَعَالَي عَبْدُ مَنْ لَوْ أَدْنَبْنَا
وَتَرَكْنَا خَمْسِينَ سَنَةً لَتَجَاوَزَ عَنَّا بِطَاعَةِ سَاعَةِ وَاحِدَةٍ
وَأَسْتَغْفَرُ مَرَّةً وَاحِدَةً. فَأَجَانَهُ أَخُوهُ إِلَى ذَلِكَ
(للقليوبي)

فِي حِيلَةِ قَائِلِ حَيْشٍ

مِنْ عَجَائِبِ مَا حَتَّى أَنْ بَعْضَ السُّلَاطِينِ غَضِبَ عَلَى
 صَاحِبِ طَبْرِسْتَانَ - فَبَذَلَ الطَّيْرَ جُهْدَهُ فِي إِزَالَةِ
 ذَلِكَ فَمَا أَمُكِنَهُ - فَبِعَثَ السُّلْطَانُ إِلَيْهِ حَيْشًا كَثِيفًا -
 فَعَلِمَ الطَّيْرُ أَنَّ الْحَيْشَ لَا يَنْزِلُونَ إِلَّا غِيْضَةً مُعَيَّنَةً
 تَحْتَ جَبَلٍ - فَأَمَرَ بِقَطْعِ أَشْجَارِ تِلْكَ الْغِيْضَةِ وَتَرْكِهَا كَمَا
 كَانَتْ قَائِمَةً وَسَدَّ مَوْضِعَ الْقَطْعِ بِالتُّرَابِ - فَلَمَّا وَصَلَ
 الْحَيْشُ وَنَزَلُوا بِهَا كَمَنْ الطَّيْرُ هُوَ أَصْحَابُهُ خَلَفَ ذَلِكَ
 الْجَبَلِ - وَسَدَّ الْحَيْشُ دَوَابَّهُمْ فِي أَشْجَارِ تِلْكَ الْغِيْضَةِ وَ
 كَانَتْ كُلُّهَا مَقْطُوعَةً - فَخَرَجَ عَلَيْهِمُ الطَّيْرُ بِأَصْحَابِهِ
 وَصَاحَ بِهِمْ فَفَقَرَتِ الدَّوَابُّ وَسَاقَطَتِ الْأَشْجَارُ لِأَنَّ
 الدَّوَابَّ جَرَّتْهَا - فَوَلَّى الْجُنْدُ هَارِبِينَ قِيَامًا لَا يَلُومُوا
 لِمَا حَدُّوا إِلَى أَحَدٍ وَتَبِعَهُمُ الطَّيْرُ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ فَتَجَا أَقْلَهُمْ
 وَتَلَفَ أَكْثَرُهُمْ - فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى السُّلْطَانِ سَأَلَهُمْ عَنْ
 شَأْنِهِمْ فَقَالُوا: نَزَلْنَا بِالْمَوْضِعِ الْمُلَاقِي وَآتَانَا فِي جُنْدٍ
 اللَّيْلِ جُنْدٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ تَضَرَّبْنَا بِالشَّجَارِ الطَّوِيلَةِ - فَلَمْ

يَجْسُرُ أَحَدٌ مِنَ الْمُتَّقِومِينَ بَعْدَ ذَلِكَ الْمَشَى إِلَى اطْبَاقِ شَتَانٍ
(للقنوي)

فِي الصَّبْرِ وَالْمُرُوءَةِ

يُرْوَى عَنْ بَعْضِ الْكُرَمَاءِ أَنَّهُ اسْتَدْعَى جَمَاعَةً إِلَى بَيْتَانٍ
لَهُ. وَعَمِلَ لَهُمْ سَمَاعًا. وَكَانَ لَهُ وَلَدٌ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ
وَجَمْعًا وَأَكْبَاهُمْ ظُرْفًا وَاتَّبَعَهُمْ أَدْبًا وَلُطْفًا. فَكَانَ مَا قُلِ
النَّهَارِ يَجِدُهُمُ الْجَمَاعَةُ دُيُوعًا لِنَفْسِهِمْ. فَاتَّفَقَ أَنَّهُ طَلَعَ
إِلَى أَعْلَى مَكَانٍ فِي الدَّارِ فَوَقَعَ مَيْتًا. فَارَادَتْ أُمُّهُ وَجُودَ أَبِيهِ
أَنْ يُظْهِرَ نَبْكَهَا عَلَيْهِ. فَطَلَعَ وَالِدُهُ إِلَيْهَا. وَخَلَفَ
أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ حَتَّى يَنْصَرِفَ الْقَوْمُ. فَإِنَّ
ذَلِكَ يُنْقِصُ عَلَيْهِمْ عُدَّتَهُمْ وَلَذَّتْهُ. فَامْتَثَلُوا مَا
أَمَرَ بِهِ. وَعَادَ إِلَى الْقَوْمِ فَحَضَرَ السَّمَاعُ وَأَظْهَرَ الْمُسَرَّةَ
وَالْأَسَى بِهِمْ. فَجَعَلَ الْجَمَاعَةُ يَتَفَقَّدُونَ الشَّابَّ وَ
يَسْأَلُونَ عَنْهُ. فَيَقُولُ وَالِدُهُ: لَعَلَّهُ قَدْ نَامَ. فَادْرَكَهُمُ
الَلَّيْلُ. وَبَاتُوا فِي السَّمَاعِ لَا يَشْعُرُونَ بِمَا صَادَرَهُمْ قَضَاءُ
اللَّهِ. فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَقْدَمَ لَهُمُ الْغَدَاءَ فَاطْكُوا وَارَادُوا

الْإِنصَارَافَ - فَقَالَ لَعَلَّكُمْ تَحْضُرُونَ جَنَازَةً وَلَدَى
 فَإِنَّهُ قَدْ مَاتَ الْبَلَايَحَةُ. وَصَحَّ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةُ - فَلَمْ
 يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا اسْتَعْظَمَ مَرُوتَهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ
 بِجَبِيلِ صَبِيحٍ وَعَظِيمِ كَرَمِهِ: (تَرْثِيْنِ الْأَمْوَاقِ)

مَوْتُ الْمُتَنَبِّيِّ

يَقِيلُ إِنَّ أَبَا الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيَّ كَانَ رَاجِعًا مِنْ بِلَادِ
 قَارِسَ إِلَى بَغْدَادَ بِجَائِزَةٍ أَجَازَةً يُهَا عَصْدُ الدَّوْلَةِ
 وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُرْسَانِ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ قُطَاعُ الطَّرِيقِ
 فَهَرَبَ الْمُتَنَبِّيُّ مِنْهُمْ - فَقَالَ لَهُ غَلَامُهُ: أَتَهْرَبُ وَ
 أَنْتَ الْقَائِلُ فِي شِعْرِكَ:

أَلْخَيْدُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدُ أَلْتَعْرِفُنِي

وَالصَّرْبُ وَالْحَرْبُ وَالْقِنْ طَاسُ وَالْقَتْلُ

فَكَذَرَ رَاجِعًا فَقُتِلَ فِي سَنَةِ ٢٥٢ هـ فَكَانَ ذَلِكَ الْبَيْتُ

سَبَبًا لِقَتْلِهِ (لِلْقَلَيْوِي)

الْحَرِيرِيُّ وَالْغُلَامُ

يُحْكِي عَنِ الْحَرِيرِيِّ أَنَّهُ كَانَ بَشَعَ الْمُنْظَرَاتِ الْهَيْئَةَ
فَجَلَسَ غُلَامُهُ يَوْمًا فِي خَلْوَةٍ وَأَرَادَ أَنْ يَتَعَلَّمَ النَّظْمَ
فَأَوَّلُ مَا نَظَّمَ يَصِفُ بَيْتَ وَهُوَ: وَجْهُ الْحَرِيرِيِّ وَجْهُ
قِرَادٍ. فَسَمِعَهُ الْعَرَبِيُّ فَقَالَ: وَالضَّرُورَةُ أَحْوَجُ مِنَّا
إِلَيْهِ فَخَجَلِ الْغُلَامُ مِنْ سَيِّئِ وَكَتَبَ قُبْحًا جَدًّا
الْحَرِيرِيُّ مَعَ الْخُلَيفَةِ وَأَخْبَرَكَ بِذَلِكَ فَقَالَ لَهُ لَا يَ
هَمِّي لَمْ تَصْبِرْ حَتَّى يُكْمَلْهُ: فَقَالَ: رَأَيْتُهُ أَفْتَقَحَنِي
يَقْمُ فَنَحْشِيكَ أَنْ يُكْمِلَنِي بِكَلْبٍ تَكْمَلْتُهُ لَهُ:
(للتواجي)

